العلاقة التعاقدية الاجتماعية

دراسة سسيوانثربولوجية

بين البادية والحاضرة في مدينة الدوادمي

قبل قيام المملكة العربية السعودية

إعداد

عبدالعزيز بن حمود بندر العتيبي

المقدمة :

تنتشر المجتمعات في جميع أنحاء العالم ، وتختلف هذه المجتمعات باختلاف عاداتها وتقاليدها وقيمها وأعرافها وكثرة إعدادها إلى غير ذلك .

ومن هذه المجتمعات ما قد فقدت أفرادها بكثرة الحروب والصراعات والآفات الطبيعية والأزمات العارضة.

ولهذا تعتبر المجتمعات العربية من أقدم المجتمعات التي كانت تسعى من أجل البقاء ومحاولة العيش في ظل ظروف غامضة لا تستطيع من خلالها أن تجد أقل مقومات الحياة الإنسانية وعاشت هذه المجتمعات رغم تلك الظروف التي مرت بها وأثرت على بقاءها واستقرارها وتكوينها وبناءها الاجتماعي.

ومن هنا فإن الباحث في هذه الدراسة يركز على مجتمع من مجتمعات شبة الجزيرة العربية وهو مجتمع الدوادمي بفئتيه الحاضرة والبادية وذلك بهدف التعرف على الحياة التعاقدية التي ربطت بين أفراده.

وتعد هذه الدراسة من الدراسات الوصفية التحليلية التي اعتمدت المنهج الانثرسسيولوجي على مجتمع الدوادمي، مما تطلب من الباحث بذل الكثير من الجهد والطاقة في سبيل الحصول على ما يحتاجه من معلومات تثري مادته البحثية وذلك بالرجوع إلى كبار السن من البادية والحاضرة الذين عاصروا تلك الفترة أو نقلت إليهم من آبائهم. حيث بلغ عدد الإخباريين سبعة أشخاص أربعة من الحاضرة وثلاثة من البادية وتم جمع المعلومات منهم من خلال المقابلة المتعمقة للإجابة على محاور الدراسة الخمسة وهي العلاقات التعاقدية (البيئية الجغرافية ، الاجتماعية ، الاقتصادية ، الأمنية ، التعليمي الديني).

ومن ثم قام الباحث بتوظيف هذه المعلومات التي تحصل عليها من الإخباريين في محاور بحثه الخمس وتحليلها بما يتوافق مع أهداف دراسته.

مشكلة الدراسة :

يناقش هذا البحث الحياة الاجتماعية للمجتمع شبه الجزيرة العربية قبل قيام المملكة العربية السعودية وخاصة مجتمع الدوادمي ، حيث حاول الباحث التعرف على الخصائص المجتمع الاجتماعية في تلك الفترة الزمنية . إن تنوع فرص الحياة الاجتماعية تختلف من مجتمع لآخر وذلك يرجع للعديد من العوامل نذكر منها :

١. التنوع الثقافي .

٢. البيئة الجغرافية المحيطة .

٣. العادات والتقاليد .
٤. التركيبة الاجتماعية لإفراد المجتمع .
٥. الحالة الاقتصادية .
٦. الوضع الأمني .

إن الحياة الاجتماعية في المجتمع النجدي تأثرت بالعديد من العوامل التي كانت تهيمن على الحياة المجتمعية في تلك الفترة ومن هنا فان هذه الدراسة ركزت على العلاقة بين أبناء المجتمع وخاصة مجتمع الدوادمي بفئتيه (الحاضرة والبادية) ، فالبادية بالمفهوم العام هي فئة من الناس لا تستقر بمكان وإنما تنتقل منه لآخر بحثا عن (الكلأ والماء) حيث إن حرفتها الرئيسية هي تربية الماشية التي تعتمد عليها في جميع نواحي حياتها اليومية وبالإضافة إلى هذا المفهوم فانه يعني (القبائل) في شبه الجزيرة العربة التي كانت تقوم بهذه المهنة بالرغم من تعدد أسماؤها وكثرت أفرادها وقد تميزت هذه القبائل بأصالتها واعتزازها بأنسابها وجذورها التاريخية وما تملكه من العديد من الخصائص الاجتماعية في تركيبة بنائها الاجتماعي ، وفي المقابل فان (الحاضرة)بمفهومها العام عنها هي فئة من الناس تستقر في مكان وتكون مجتمع يقوم على التوحد المجتمعي ولديها الخصائص الاجتماعية التي تتميز بها وهي بالمقابل تعود بأصولها وأنسابها إلى قبائل عربية أصيلة إلا أنها أخذت من استقرارها بناء مجتمع مستقر يمارس بعض الحرف كالزارعة والتجارة وغيرها من المهن التي تلبي احتياجاتها المجتمعية .

ومن هنا جاءت هذه الدراسة التي تسعى إلى سبر أغوار تلك الحياة الاجتماعية التي جمعت بين فئتيه البادية والحاضرة والتعرف على الخصائص الاجتماعية التي كانت سائدة في تلك الفترة ومن ثم التعرف على أسس العلاقة التعاقدية التي جمعت بين البادية والحاضرة في مجتمع الدوادمي وفيما كانت تتمثل في صورها المتعددة وما ترتب عليها البناء الاجتماعي العام لمجتمع الدوادمي في تلك الفترة الزمنية قبل قيام المملكة العربية السعودية وتوحيدها .

أهمية الدراسة :

إلقاء الضوء على الحياة البيئية الجغرافية والاجتماعية والاقتصادية والأمنية والتعليمية الدينية في مجتمع الدوادمي قبل قيام المملكة العربية السعودية من خلال دراسة العلاقة التعاقدية بين فئتي المجتمع (البادية والحاضرة) ، وذلك لعدم وجود دراسات تتحدث عن العلاقة التعاقدية في شبه الجزيرة العربية قبل توحيد المملكة ، ولهذا أتت هذه الدراسة لتكون البذرة الأولى لجذب اهتمام الباحثين المتخصصين في مجالات الدراسات الاجتماعية .

أهداف الدراسة:

الهدف الرئيس: التعرف على العلاقات التعاقدية بين مجتمع الحاضرة والبادية في محافظة الدوادمي قبل قيام المملكة العربية السعودية. ويتفرع منه الأهداف الفرعية التالية:

١. التعرف على العلاقة التعاقدية في البيئة الجغرافية بين مجتمع الحاضرة والبادية في محافظة الدوادمي قبل قيام المملكة العربية السعودية.

٢. التعرف على العلاقة التعاقدية الاجتماعية بين مجتمع الحاضرة والبادية في محافظة الدوادمي قبل قيام المملكة العربية السعودية.
٣. التعرف على العلاقة التعاقدية الاقتصادية بين مجتمع الحاضرة والبادية في محافظة الدوادمي قبل قيام المملكة العربية السعودية.
٤. التعرف على العلاقة التعاقدية الأمنية بين مجتمع الحاضرة والبادية في محافظة الدوادمي قبل قيام المملكة العربية السعودية.
٥. التعرف على العلاقة التعاقدية التعليمي الديني بين مجتمع الحاضرة والبادية في محافظة الدوادمي قبل قيام المملكة العربية السعودية.

تساؤلات الدراسة :

التساؤل الرئيس: هل هناك علاقات تعاقدية بين مجتمع الحاضرة والبادية في محافظة الدوادمي قبل قيام المملكة العربية السعودية. ويتفرع منه التساؤلات الفرعية التالية:

١. هل هناك علاقة تعاقدية في البيئة الجغرافية بين مجتمع الحاضرة والبادية في محافظة الدوادمي قبل قيام المملكة العربية السعودية.
٢. هل هناك علاقة تعاقدية في الحياة الاجتماعية بين مجتمع الحاضرة والبادية في محافظة الدوادمي قبل قيام المملكة العربية السعودية.
٣. هل هناك علاقة تعاقدية في الحياة الاقتصادية بين مجتمع الحاضرة والبادية في محافظة الدوادمي قبل قيام المملكة العربية السعودية.
٤. هل هناك علاقة تعاقدية في الحياة الأمنية بين مجتمع الحاضرة والبادية في محافظة الدوادمي قبل قيام المملكة العربية السعودية.
٥. هل هناك علاقة تعاقدية في الحياة التعليمية الدينية بين مجتمع الحاضرة والبادية في محافظة الدوادمي قبل قيام المملكة العربية السعودية.

مفاهيم الدراسة:

مفهوم العلاقة:هي كل علاقة تقوم بين شخصين أو أكثر لتلبية حاجة عاطفية أو اجتماعية أو تحقق هدف اقتصادي أو تربوي أو ثقافي أو عسكري ...الخ أكان هذا الهدف نبيلاً أو دنيئاً .

معناها من خلال السياق البناء النظري الذي ينتمي به: علاقة حساسة وهشة وعرضه في كل لحظة للانفصام ، أم لم يتوفر لها التبادل في العواطف والتوازن في المصالح وضمان العدل والمساواة للطرفين فمصلحة كلٍ منهما حق له. ومصلحة الأخر واجب عليه . فإذا تجاوز أحد الطرفين الحدود أو حاول استغلال الطرف الأخر انهارت هذه العلاقة وانفصمت عراها. وحل سوء التفاهم محل الوئام والانسجام. (www.d1g.com) منتدى العلوم الإنسانية.

وعرف التربويون العلاقة : بأنها مجموعة العمليات التي بها يستطيع المجتمع أن ينقل معارفه وأهدافه المكتسبة ليحافظ على بقائه ، وتعنى في الوقت نفسه التجديد المستمر لهذا التراث وأيضاً للأفراد

الذين يحملونهم فهي عملية نمو وليست لها غاية إلا المزيد من النمو ، أنها الحياة نفسها بنموها وتجديدها . (www.yanabeea.net).

- التعريف الإجرائي للعلاقة: هي تلك العلاقة المشتركة بين البادية والحاضرة في مجتمع الدوادمي قبل قيام المملكة العربية السعودية.

العقد الاجتماعي : (التعاقد الاجتماعي):

يتردد مصطلح العقد الاجتماعي على امتداد تاريخ أدبيات الفكر الإنساني منذ القدم في عدة مجالات مختلفة أبتداً من ظهوره في فلسفات (سقراط وأفلاطون) ٤٠٠ قبل الميلاد. ومن ثم دراسته وبلورته بشكل نظرية علميه على يد بعض علماء الاجتماع أمثال (توماس هوبز وجون لوك وجان جاك روسو).

- وجد هوبز أن الإنسان في مرحلة ما قبل المجتمع يتركز اهتمامه على المصلحة الذاتية مع وجود مصادر محدودة وغياب سلطة تجبر الأفراد على التعاون واستنتج أن الحياة في مثل هذه البيئة ستكون صعبة وقاسية جداً بحيث يخشى كل فرد على حياته من الأخر،ولا يستطيع أحدهم ضمان تلبية حاجاته ورغباته لمدة زمنية طويلة، وعليه استنتج أن مرحلة ما قبل المجتمع الهمجية تحوي أسوء ظروف يمكن أن يعيشها الإنسان مما يطرح بقوة ضرورة تكون التجمعات البشرية والقوانين التي تحكمها ، رأى هوبز أن الطريق للخروج من الحاجات السابقة يتم عبر الاتفاق على العيش تحت القوانين المشتركة والاتفاق على إيجاد إلية لفرض القوانين.
(www.ar.wikipdia.org.com).

- ويقول قاموس الفلسفة بتعريفه للعقد الاجتماعي: هو اتفاق بين أفراد وقوة حاكمة حيث يتم التنازل إرادياً عن بعض الحريات الشخصية مقابل منفعة تتمثل في مجتمع حسن التنظيم أو حكومة رشيدة . (www.almaany.com) مركز التنوير المعرفي.

- التعريف الإجرائي للتعاقد: فهو عبارة عن مصالح مشتركة بين مجتمع البادية والحاضرة في محافظة الدوادمي أدت إلى وجود اتفاق بينهم بحسب الأعراف والتقاليد المتعارف عليها.

مفهوم اجتماع:

هو مصطلح منسوب إلى علم الاجتماع (الإنسان اجتماعي بطبعه له فطرة تميل إلى معاشرة الناس والاختلاط بهم ويشارك في كل نشاط اجتماعي(www.almaany.com)

- التعريف الإجرائي: يتفق الباحث مع التعريف السابق.

مفهوم الإخباريين:

قيل لمن يشتغل بالتواريخ وما أشكلها. ويطلق الإخباري في لسان أهل الحديث من القدماء من العامة والخاصة. على أهل التواريخ والسير ومن يحذوا حذوهم في جمع الأخبار من أي وجهه. اتفق من غير تثبت وتدقيق. (نزاد ، ١٤٢٤: ١٧).

- التعريف الإجرائي: هم كبار السن من مجتمع الدوادمي (الحاضرة والبادية) ممن عاصروا الحدث أو نقل لهم الغير.

الإطار النظري للدراسة:

تنوعت تعريفات النظرية الاجتماعية باختلاف المدارس و الاتجاهات لكنها تتراوح بين الاتجاهين النظري و الإمبريقي (التجريبي) وبين النظرية كرؤية شاملة للمجتمع وبينهما كدراسة إمبريقية لمشكلة محددة.

فالنظريات أقرب ما تكون إلى وجهات النظر العامة التي لا تستند على أساس إمبريقي بل فلسفي، وتعرف هذه النظريات بالنظريات الكبرى للمجتمع، تلك آلتي تناولت البناء والمؤسسات الاجتماعية وتغيرها الاقتصادي والثقافي كنظرية ابن خلدون وأوجست كونت وسبنسر وبارسونز.

أما النظريات الصغرى فتركز على الأفراد وتفاعلاتهم ، وهناك شكل آخر من أشكال النظرية تتخذ طابع الصياغة اللفظية لفرضيات ومسلمات عامة وفرضيات متغيرات مستقلة ومتغيرات تابعة وتحديد الدليل الخاص بالتحقيق الإمبريقي ويصدق على ذلك دراسة دور كايم عن الانتحار.

أما ميرتون فيتحدث عن النظريات المتوسطة المدى وهي مفاهيم مرتبطة مع بعضها ترابطًا منطقيًا وذات مدى محدود و متواضع أكثر منه شاملا وكبيرا (عرابي ٢٠٠٣، ص ١٥-١٦)

ومن هنا نجد بعض علماء الاجتماع يقدمون تعريفاتهم العلمية للنظرية بالاستناد إلى طبيعة القضايا التي تقوم عليها تلك النظرية. فذهب (تيماشيف) في تعريف النظرية إلى " أنها مجموعة من القضايا يجب أن يتوفر فيها عدة شروط تتمثل في استناد القضايا لأفكار محدودة وأن تكون تلك القضايا متسقة مع بضعها وأن تكون في صورة تساعد على اشتقاق التعميمات الاستقرائية بحيث تؤدي تلك القضايا التي تقوم عليها النظرية إلى قدر وافر من الملاحظة والتعميمات التي تخدم المعرفة وتشهرها وتوسع من نطاقها".

وفي ضوء ذلك يمكن تعريف النظرية(الصياغة التصورية المستندة إلى البحث و القياس و المتضمنة المجموعة من القضايا و المفاهيم والتعريفات المتسقة والمتكاملة منطقية حول الحياة البشرية و القابلة للبحث والقياس) *(السيد على شتا ، ١٩٧٧، ص ١٣١، ١٣٣) .

وتعتبر النظرية أداة تساعد الباحث على ملاحظة القضايا الهامة ودراستها وتفسيرها وخصوصا ما يعبر عن اتجاهات التغير الاجتماعي . (عرابي، ٢٠٠٣، ص-٢٤)

النظريات المفسرة للدراسة:

التماسك الاجتماعي (Social cohesion):

ليس هناك معنى واضح وقاطع لاصطلاح التماسك الاجتماعي غير أنه يستعمل في وصف الحالات التي يرتبط بها الأفراد واحدهم بالآخر بروابط اجتماعية وحضارية مشتركة، ويستعمل اصطلاح التماسك الاجتماعي عادة في تفسير أسلوب تماسك أفراد الجماعات الصغيرة الذي يكون إما بدافع الإغراء أي إغراء الجماعة الصغيرة لأعضائها أو بدافع المصالح والأهداف أي المصالح التي يحقق أعضاء الجماعة خلال انتسابهم لها. و استعمل كل (كارترايت وزاندر) اصطلاح التماسك الاجتماعي في كتابهم الموسوم ديناميكية الجماعة عندما تحليل تماسك الجماعات الصغيرة.

و استعمل العالم إميل دور كايم اصطلاح التماسك الاجتماعي استعمالا علميًا في كتابه تقسم العمل وفي كتابه (الانتحار) . يقول دور كايم إن درجة التماسك الاجتماعي تعتمد على طبيعة الجماعات

والمنظمات والمجتمعات التي تؤثر تأثيرا كبيرا ومباشرا على أنماط سلوك الأفراد كما يظهر جليا في حالة السلوك الانتحاري الذي يعتمده الفرد وقت تعرضه لظروف وعوامل اجتماعية معينة .

لكن الاصطلاح يستعمل عادة من قبل علماء الاجتماع في حالة الجماعات الاجتماعية الصغيرة والكبيرة خصوصا عندما تتوفر في هذه الجماعات الصفات التالية:

- اعتماد الفرد على المقاييس و القيم المشتركة.
- تماسك أفراد الجماعة بسبب المصالح المشتركة .
- التزام الفرد بأخلاقيات وسلوك جماعته.

ويحاول "امتاي اتزوني" تعريف التماسك الاجتماعي فيقول بأنه علاقة تعبيرية إيجابية تقع بين شخصين أو أكثر، غير أن هذا التعريف يبدو ناقصا طالما أنه لا يشير إلى طبيعة التماسك على الجماعة و لا يذكر أي شيء عن قيم وأهداف ومقاييس الجماعة.(دينكن ميشيل، ترجمة الحسن، ١٩٨٠، ص ٢٧٧)

وبتعبير وظيفي نموذجي فإن دور كايم أسس نظريته على التضامن الاجتماعي والتماسك الاجتماعي كما أسسها على مسألتين اجتماعيتين هما التكامل و التنظيم، وتتمثل فرضيته الأساسية في أن المجتمعات التي تتصف بتكامل اجتماعي وتنظيم اجتماعي قليل جدا أو كثيرا جدا سوف تتضمن معدلات مرتفعة من الانتحار إن أنماط الانتحار التي تتطابق مع التكامل و التنظيم هي الانتحار الإيثاري عندما يكون التكامل مرتفعاً

و الانتحار الأناني عندما يكون التكامل منخفضا و الانتحار القدري عندما يكون التنظيم مرتفعا و الانتحار الأنومي عندما يكون التنظيم منخفضا.

تتمثل مساهمة دور كايم الأكثر أهمية بالنسبة للوظيفية في كتابه " الأشكال الأولية للحياة الدينية " ويظهر دور كايم في هذا الكتاب أنه في القبائل البدائية كانت الديانة قوة تكاملية قوية من خلال استدماجها القيم العامة والتطابق معها كما أشار دور كايم إلى القيم على أنها المدركات المشتركة على نطاق واسع لما هو جيد أو المعتقدات التي تضفي شرعية على وجوده وأهمية بناءات اجتماعية معينة وأنماط سلوك منتشرة في البناء الاجتماعي إن دور كايم الذي يشارك الوظيفية اهتماماتها كان مهتمًا إلى حد كبير بالدين وسبب ذلك أنه يعتبر الدين ذا فاعلية خاصة في تنمية القيم العامة كذلك لاعتبار الدين مصدرا جيدا للتكامل (الحوراني ، ٢٠١٢، ص ٦٠ -٦٢).

ويمكن الاستفادة من النظرية في هذه الدراسة :

إن من خلال قراءتي لمجتمع الدوادمي بين الحاضرة والبادية نجد أن الجماعة تؤدي تماسكًا اجتماعيًا بين أعضائها لا فرق بين البادية والحاضرة، حيث أن المجتمع الجغرافي واحد و الخصائص الاجتماعية متشابهة..

العقد الاجتماعي: (Social Contract)

يشهد تاريخ الفلسفة السياسية تكرار استعمال عبارة العقد الاجتماعي فالفيلسوف السياسي "جوهان الثوسوس" في كتابه "الطريقة السياسية "،١٦٠٣ يشير بأن المجتمع يمكن تفسيره بواسطة العقد الاجتماعي الذي اتفقوا عليه أبناء المجتمع الواحد في جميع المناطق و الفترات الزمنية خصوصا عندما يتميزون بالصفة الاجتماعية التي هي صفة طبيعية تتغلب على شخصياتهم وتحدد سلوكهم اليومي.

لذا عندما نتكلم عن العقد فإننا نقصد ذلك التعبير الشرعي الذي يصف طبيعة الإنسان الجوهرية التي تتسم بالصفة الاجتماعية وتنعكس في العلاقات التي تربط الأفراد واحدهم بالآخر.

وصف الثوسوس علاقة الشعب بالدولة إذ قال بأنها "علاقة قوية تعتمد على عقد يوقعه الطرفان بين أن يتفقا على صيغته المحددة لواجباتهم وحقوقهم"

أما الفيلسوف الإنجليزي "ريجارد هوكر" فيقول في كتابه "قوانين السلطة الدينية" ١٩٥٤، بأن الإنسان هو حيوان اجتماعي بطبيعته لذا لا يمكن لنظرية العقد الاجتماعي تفسير كيفية نشوء المجتمع وذلك لأنها تدخل العنصر الاصطناعي في العلاقة الإنسانية التي يجب أن تكون كما يدعي شيئًا طبيعيا وهنا يختلف هوكر برأيه عن توماس هوبز الذي يؤكد على أهمية العقد الاجتماعي في تفسير نشوء المجتمع والحقوق الطبيعية للإنسان. يعتقد هوبز بأن الإنسان فقد حقوقه الطبيعية منذ البداية خصوصا بعد أن سلمها إلى الملك أو الحاكم الذي استطاع من خلال قوته ودهائه أن يحافظ على السلام وينشر العدل والاستقرار في ربوع المجتمع.

ويصف هوبز قائلا بأنه لو احتفظ الأفراد بحقوقهم لاستغل واحدهم الآخر فترة زمنية قصيرة.

واستمر فلاسفة ومفكروا الغرب بدراسة موضوع العقد الاجتماعي دارسة نقدية مسهبة ومن أشهرهم الفيلسوف الإنكليزي جوان لوك الذي ناقش موضوع طبيعية العقد الاجتماعي بالنسبة لموضوع الملكية في كتابه" حول الحكومة المدنية"١٦٩٠. حاول لوك في كتابه هذا إيجاد نظرية الحق الطبيعي للملكية التي كانت القاعدة الأساسية التي استندت عليها ثورة ١٦٨٨. وكانت بمثابة نقطة البداية للفكر السياسي الحديث.

تتلخص نظرية لوكس حول الملكية بأن للإنسان حق السيطرة على جزء من الطبيعة " الأرض" التي دائما ما تمتزج بعمله وجهوده شريطة أن تتوفر الطبيعة بكميات كبيرة يسهل استثمارها استثمارًا طبيعيا غير أن استغلال الطبيعة من قبل رجل واحد يجب ألا يؤثر على عملية استغلالها من قبل الآخرين كما أن حق امتلاكه لقطعة أرض يجب ألا يتعارض مع حقوق الآخرين في ملكية الأرض.

إن تطبيق مثل هذا العقد جعل من المستحيل السيطرة على جهود الآخرين أو الاستيلاء على أراضيهم وممتلكاتهم . وجوهر هذا المبدأ لا يزال ساريا لحد الآن، فحقوق الملكية هي من خلق الرجال أنفسهم لكنها تتمتع بصفة الشرعية طالما أنها تنال موافقتهم واحترامهم وهذا ما يتماشى مع نصوص العقد الاجتماعي.

إلا أن نظرية العقد الاجتماعي في القرنين السادس عشر والسابع عشر قد انتقدت بشدة من قبل مفكري القرن الثامن عشر مثل الفيلسوف الاسكتلندي "ديفيد هيوم" الذي اعتقد بأن وجود الدولة لا يعتمد على العقد بينها وبين الشعب وإنما يعتمد على القوة والقهر وحب الحكم، لكنه يعترف بأنه استمرارية الجولة في الحكم يعتمد على العواطف المشتركة التي يحملها الشعب تجاه حكومته وهذه العواطف ليست هذا العقد الاجتماعي الذي استعمله العلماء في تفسير أصل نشوء المجتمع والدولة والعائلة

وقد انتعشت نظرية العقد الاجتماعي وازدادت قوة وأهمية على يد الفيلسوف الفرنسي " جان جاك روسو" عندما نشر كتابه المسوم" العقد الاجتماعي " في عام ١٧٦٢ يقول روسو في كتابه هذا بأن تنازل الإنسان عن حريته الطبيعية ساعده في الحصول على حريته المدنية والأخلاقية والسيادة حسب رأيه يجب أن تعطى للشعب إذ أن إرادة كل واحد منهم تعتبر عنصرا جوهريًا يخدم تحقيق الصالح العام.

و العناصر المجتمعة تكون الإرادة العامة التي هي الإرادة الحرة في المجتمع والتي تعتقد بضرورة منح الحريات كاملة للأفراد بغية تحقيق السعادة والرفاهية والازدهار.

أما الفلسفة الفردية التي ظهرت في القرن التاسع عشر وانعكست في كتابات ونظريات " هربرت سبنسر " فتعتمد على مبدأ إعطاء الحريات الكاملة للأفراد، هذه الحريات التي تساعدهم في تكوين علاقات اجتماعية تخدم مصالحهم المشتركة. أما أهمية الحكومة فتتجلى في إسنادها للعقود الشرعية والاتفاقات التي وقعت بين الأفراد من محض إرادتهم الحرة وفي نفس الفترة الزمنية يظهر المشرع الإنجليزي السير هنري مين (Sir Henry Maine) فيقول بأن التقدم الاجتماعي يمثل حركة المجتمعات أي تحولها من مجتمعات تعتمد على المنزلة إلى مجتمعات تعتمد على العقد و العقد الذي يذكره "مين"هو العقد الشرعي. أما دور كايم فيؤكد على أهمية العناصر غير التعاقدية في العقود إذ يقول بأنه قبل وجود الترتيبات و الاتفاقيات التعاقدية كان هناك مجموعة قيم مشتركة تعتبر القاعدة الأساسية للنظام والاستقرار الاجتماعي.

إذن ينبغي التمييز بين العقد الاجتماعي (Social Contract) و العقد الشرعي Legal Contract)) ، ولكنه من دراسته لمبادئ سبنسر ودور كايم ومقارنتها بأفكار الفلاسفة السياسيين للقرنين الخامس عشر و السادس عشر تواجهنا مشكلة مشتركة وهي كيف يستطيع النظام الاجتماعي المحافظة على ذاتيته وشكليته بمرور العصور و الأجيال؟

(دينكن ميشيل، ترجمة الحسن، ١٩٨٠، ص ٢٧٨ ٢٨١)

ويمكن الاستفادة من النظرية في هذا البحث :

ومن خلال قراءتي لمجتمع الدوادمي نجد أن العلاقة التعاقدية بين فئتي البادية و الحاضرة كانت متجسدة في العقد الاجتماعي بين البادية و والحاضرة و نقصد بذلك التعبير الشرعي الذي يصف الطبيعة الجوهرية بين فئتي المجتمع و التي تتسم بالصفة الاجتماعية وتنعكس في العلاقات التي تربط الأفراد واحدهم بالآخر.

وعلى ذلك فإن نظرية التعاقد الاجتماعي تؤكد على تلك العلاقة التعاقدية التي ربطت ين أعضاء المجتمع بعلاقة قوية كان رابطها على الحقوق والواجبات المشتركة بينهما.

حيث أن المجتمع الجغرافي واحد والخصائص الاجتماعية متشابهة مما وثق أواصر تلك العلاقة التعاقدية في تلك الفترة قبل قيام المملكة.

منهجية الدراسة:

اختير المنهج الإثنوجرافي كمنهج للدراسة ، لأن الأعمال الإثنوجرافية هي القاعدة والأساس في معظم الدراسات الإنثروبولوجية ، وكذلك الاجتماعية بشكل عام، وذلك أنها تعطى وصفاً شاملاً ودقيقاً عن مجتمع الدراسة ، وبخاصة تلك الجوانب التي يصعب قياسها بالطرق السسيولوجية.

وتتكون هذه الدراسة من مجموعة من المونوجرافات، التي تحاول أن تقدم دراسة شاملة عن مجتمع الدوادمي ، وطبيعة الثقافات التي تأثرت بها ، وهو التأثير الذي اتخذ أحياناً شكل الاستعارة الثقافية عبر وسائل الاتصال المتاحة آنذاك ، بالإضافة إلى ذلك تشتمل هذه الدراسة على تحليل لحركة المجتمع وتفاعلاته في بعض الجوانب الاجتماعية ، وكذلك دور الإنسان في إطار هذه التفاعلات ، إلى جانب التعرف على وظيفة النظام الاجتماعي وتحقيق الإشباعات البيولوجية والنفسية والاجتماعية وفقاً للتوجهات الثقافية السائدة.

وفي هذا الإطار تعرض لأنظمة النسب والمصاهرة (الخطبة والزواج والمهر وكيفية إقامة مناسبة الزواج) من الخطبة ، المهر ، طريقة الخطبة ، كمية المهر ونوعه ، العرس وتفاعلاته ،الفرح، المأكولات ، طريقة استقبال الزوج وأهله، العروس وكيفية معرفة موافقتها ، وذلك باعتبار أن هذا النظام على ما يتضح لنا يلعب دوراً محورياً في تحقيق التعاقد الاجتماعي لمجتمع الدوادمي لاعتبارها مجتمعاً محلياً.

بالإضافة إلى ذلك تشتمل الدراسة أيضاً على تحليل لبعض المناسبات الدينية والاجتماعية وكيفية تعامل الناس مع بعضهم البعض فيها، مثل يوم الجمعة (الخطبة ، الصلاة) وما يتبعها من إقامة الولائم ، وما يدور في تلك المناسبات الاجتماعية والدينية من أشكال التفاعل الاجتماعي وعلاقاته التعاقدية وهي العناصر والتفاعلات التي تشكل جانباً كبيراً لدورة الحياة في هذا المجتمع المحلي.

وفي هذا الإطار يعتبر المنهج الإثنوجرافي أنسب مناهج البحث المستخدمة في هذا المجال ، ولقد تطورت الدراسات الإثنوجرافية على أيدي رواد الانثربولوجيا أمثال راد كليف براون ، ومالينوفسكي في الاتجاه الذي أصبح حقلياً ويمتحن من خلاله صحة بعض النظريات وبذلك وتعنى الإثنوجرافيا في أبسط صورها وصف الشعوب أي ملاحقة وتسجيل المادة الثقافية من الميدان وهي دراسة وصفية لطرق الحياة في مجتمع معين دون أن تكون تفسيرية.

ثانياً: أداة الدراسة :

وقد اتبع الباحث في جمعه للبيانات المتعلقة بالمجتمع المحلي (لمحافظة الدوادمي) عدة طرق تتبع عادة في المنهج الإثنوجرافي وهي التي نعرض لإبرازها فيما يلي:

١-**المقابلة:** حيث تعتبر المقابلة من الطرق الإنثروبولوجية التي يمكن أن يحصل من خلالها الباحث على المعلومات الإثنوجرافية من الميدان. ذلك أنها أنسب الطرق التي يمكن للباحث أن يحصل على أكبر قدر من المعلومات التي يريد ، والتي لا تكون إلا في عقول أبناء ذلك المجتمع المبحوث ، وهي

تتمثل في مقابلة الباحث لبعض أفراد المجتمع ممن يفيدون في جمع المعلومات الهامة عن البناء الاجتماعي والثقافي لمجتمع الدراسة ، ويطلق على هؤلاء الإخباريون حيث توجه لهم الأسئلة حول ثقافة المجتمع ، ويترك لهم فرصة الإجابة المرسلة دون توجيهها وجهة معينة. (صبحي ، ١٩٨٤م ، ٢٠٠).

٢- تاريخ الحياة:

كذلك قام الباحث بجمع البيانات من خلال طريقة تاريخ حياة المجتمع المحلي وهي من الطرق المهمة أيضاً في جمع المعلومات من مجتمع معين، وأيضاً جزء من الدراسة الميدانية التي استخدمت في هذه الدراسة وهذه الطريقة تعنى أن يطلب الباحث من بعض أفراد المجتمع أن يقص عليه ، كل منهم سيرة حياته وما صادفها من أحداث ومشاكل منذ الصغر وارتباط ذلك ببعض الأحداث التي وقعت على مستوى المجتمع المحلي ، ومن خلال تلك السير ، يتضح للباحث بعض المشكلات والعلاقات الاجتماعية و أوجه النشاط الثقافي والاجتماعي عن ذلك المجتمع.(إسماعيل ، ١٩٨٢م ، ٢٠١).

ولجمع البيانات المتعلقة بموضوع الدراسة واجه الباحث مجموعة من الصعوبات التي نعرض لبعضها فيما يلي:

أ- لم يكن لهذه الدراسة أن ترى النور إلا بعد عناء شديد وزمن مديد ، فقد استمر جمع المادة العلمية أكثر من أربع أشهر .

ب- من حيث الفكرة يجد بعض الإخباريون (informants) أن من المهانة وهم كبار في السن ، الحديث عن أمور مضت ، أو أنها لا تزال قائمة وتعتبر من المسلمات.

لذا فإن الباحث ينفق الكثير من الوقت في محاولة لدفع الإخباري إلى الحديث الحر المتداعي، وبذلك فهو يحاول تهيئة السبل حتى يمكن أن يجمع أكبر قدر من المعلومات.

ج- لم يكن للبحث أن يقوم ، لولا مساعدة بعض الأفراد من نفس المجتمع ، والذين تربطهم بالباحث علاقة صداقة ،سهلوا من معرفة الباحث على المبحوثين.

د- يظن بعض المبحوثين أن القصد من وراء جمع هذا النوع من المعلومات هو محاولة إيجاد مقارنة بين الجبلين لإثبات عدم صلاحيته وجدوى تراثهم وقيمهم ، وهذا بالطبع يدخل في الجانب المتعلق بالبناء النفسي للمبحوثين.

هـ- إضافة إلى ما سبق من الصعوبات فقد واجه الباحث ندرة في الدراسات السابقة حول موضوع دراسته حول العلاقة التعاقدية وهذا مما جعل هذه الدراسة تضيف بعداً علمياً ومرجعاً للدراسات السسيو الإثنروبولوجية مستقبلاً.

ثالثاً: مجتمع الدراسة :

طبقت هذه الدراسة على مجتمع الدوادمي بفئتيه (البادية والحاضرة) قبل قيام المملكة العربية السعودية حيث اعتمد الباحث في جمع البيانات على مجموعه من الإخباريون الذين عاصرو تلك الفترة أو نقلت إليهم من أبائهم من خلال المقابلة المعمقة وكان عدد الاخبارين سبعة أشخاص أربعة من كبار السن من الحاضرة وثلاثة من كبار السن من البادية .

رابعاً : حدود الدراسة .

١- الحدود الموضوعية : اقتصرت هذه الدراسة على دراسة العلاقة التعاقدية الاجتماعية على مجتمع الدوادمي (البادية والحاضرة) قبل قيام المملكة العربية السعودية.

٢- الحدود المكانية : طبقت هذه الدراسة في مدينة الدوادمي .

٣- الحدود الزمانيه : طبقت هذه الدراسة في الفصل الدراسي الأول لعام ١٤٣٣_١٤٣٤هـ .

٤- الحدود البشرية: طبقت هذه الدراسة على مجتمع الدوادمي قبل قيام المملكة العربية السعودية.

نتائج الدراسة :

العلاقة التعاقدية في البيئة الجغرافية بين مجتمع الحاضرة والبادية في محافظة الدوادمي :

لاشك أن البيئة الجغرافية تلعب دوراً مهماً في الحياة الاجتماعية لأي تجمع إنساني وفي هذه الدراسة سوف نستعرض العلاقة التعاقدية في البيئة الجغرافية لمجتمع الدوادمي وذلك من خلال تاريخ الدوادمي ، والموقع الجغرافي والفلكي لها ، والمظاهر التضاريسية ،والطبيعية ، وذلك من خلال ما أوردة الإخباريون عن موقع الدوادمي

١) تاريخ الدوادمي:

تعتبر مدينة الدوادمي من المدن القديمة . ولكن اسم مدينة الدوادمي هذا لم يرد في معاجم العرب الجغرافية، وذلك لحداثة الاسم وغرابته، ولا يوجد اسم له مشابه بين الأسماء العربية.

ولقد ورد في ترجمة الكتابات السبئية بعد وصف القلعة التي بنيت في مأسل الجمح، وتقع في الجنوب من الدوادمي- إشارة إلى الإقليم الذي يليه (إقليم موادام – أو موادم)، وهذا يعني بئر المرض لأن مستوطنيه الأولين الذين احتلوا الوادي ماتوا على أثر الحمى التي أصابتهم، ثم حور الاسم إلى (دواء- أدمي) أي رغبة الإنسان.(الجاسر،١٣٨٦ص١٨٤)

وتسمية الدوادمي باسم (داء – ورد)، مشهورة و الظاهر أنها ناشئة عن خرافة ذكرها صاحب معجم البلدان عن واسط البلدة المعروفة في العراق.

ونظراً لأن اسم واسط يطلق على مورد قريب من الدوادمي -جنوبًا- فقد نشأ خطأ الاعتقاد بأنها واسط الدوادمي فإنه كان الذي يطلق عليه (داء- ورد) أو (داء – وردان)، وهذا من قبيل الخطأ و الوهم.(بن خميس، ١٤٠٢، ص٨٠-٨٢)

ويرى بعض الباحثين أن كلمة دوادمي عبرية نشأت من كون أكثر من اشتغل في المعادن التي كانت حوله من العبرانين. (الجاسر،١٣٨٦ص١٨٤)

والبعض يسميها (العويصي) تصغير (العاصي) (الجنيدل ، ١٣٩٨، ص٥٣٧) أيضا ويبدو أنه محرف من كلمة العيصان التي هي أسم قرية لبني نمير فيها معدن لهم، وقيل اسم للمعدن و الواقع أن الدوادمي واقعة في بلاد بني نمير.

وقال ياقوت: بكسر أوله تثنية العيص من معادن بني نمير بن كعب. وقيل ناحية، بينها وبين حجر خمسة أيام من عمل اليمامة، بها معدن لبني نمير. (الجنيدل ، ١٣٩٨، ص٥٣٩)

وقال الأصفهاني العصيان مسيرة خمسة أيام أو ستة وهي قرية كبيرة فيها معادن لبني نمير.

وقد ورد ذكرها في كتاب (عنوان المجد في تاريخ نجد) الجزء الأول، حيث يقول مؤلف الكتاب وفي عام ألف و مائتين وخمس عشرة سنة للهجرة، وعندما رجع عبد العزيز بن محمد بن سعود ومعه ابنه سعود، ثم إن عبد العزيز لما سار سبعة أيام آنس من نفسه الملل و الثقل، وبالغ معه ابنه سعود في الرجوع، وكان رأي سعود في بادئ الأمر أن يقيم والده للمشقة بركوبه فرجع لما كان قرب الدوادمي المعروفة في عالية نجد من الدمثيات هناك ورجع للدرعية.

٢) الموقع الجغرافي والفلكي

تقع محافظة الدوادمي في وسط المملكة العربية السعودية حيث تتربع على هضبة نجد تحيط بها من الشمال منطقة القصيم، ومن الجنوب محافظة العرض ، ومن الشرق محافظة الوشم، ومن الغرب محافظة عفيف، ويخترقها خط الرياض الحجاز القديم، ويمر بأطرافها الجنوبية خط الرياض – الحجاز السريع.

أما من ناحية موقعها الجغرافي الفلكي فإنه تقع ضمن المنطقة الحارة بين خطي طول ٣٠ ٤٣ – ٣٠ ٤٥ شرق خط جرينتش ، وبين درجتي عرض ٣٠ ٢٣ ° ٣٠ ٢٥ ° شمال خط الاستواء.

أما بالنسبة لمدينة الدوادمي المركز الإداري للمحافظة فإنها تقع على خط طول ٣٠ . ٢٣ ° شرق خط جرينتش ، وعلى درجة عرض ٢٩ . ٢٤ ° شمال خ الاستواء.

ويبلغ ارتفاعها عن سطح البحر ٩٤٠ مترا فوق سطح البحر ، يأخذ سطحا غي الانحدار التدريجي كلما اتجهنا شرقا. ويأخذ سطحا في الارتفاع التدريجي كلما اتجهنا غرباً .

٣) المظاهر التضاريسية :

نقصد بالمظاهر التضاريسية المرتفعات (الجبال و الهضاب) و المخفضات (الأودية والسهول٩ الموجودة على سطح المحافظة وعندما نستعرض شرح محمد بن عبد الله بن خميس في كتابه (المجاز بين اليمامة و الحجاز) نقول أنها منطقة منبسطة السطح، وسعد بن عبد الله الجنيدل في كتاب (المعجم الجغرافي في البلاد العربية – عالية نجد) يقول سطحها منبسط وتكثر به النتوءات الصخرية والهضاب الصغيرة، وسطح المنقطة ينحدر بانحدار سطح المملكة العام نحو الشرق والشمال الشرقي.

٤) المظاهر الطبيعية(المرتفعة):

وتشمل الجبال حيث توجد جبال ثهلان، وجبلة النير، وحليت، وخنوقة، وطخفة، والجمح ، والبيضتين، وأبو جرادة ، والبكري ، وذريع، وواردات، وغيرها من المرتفعات العالية .

أ) جبل ثهلان :

جبل ضخم بالعالية، يقع في بلاد بني نمير طوله في الأرض مسيرة ليلتين.

كل هذه الجبال في نجد ويتراوح عرضه ما بين عشرة إلى عشرين كيلو متر من الشرق إلى الغرب وامتداده من الشمال إلى الجنوب لا يقل عن سبعين كيلو متر ، وله قمم شاهقة ومناقب عالية ويقع غرب مدينة الدوادمي على بعد حوالي خمسة وأربعين كيلو متر وتقع بلدة الشعراء شرق هذا الجبل.ويشمل ثهلان شعابا ومياها وأوشال كثيرة لكل منها اسم يعرف به أشهرها وأكبرها الجبل المطل على بلدة الشعراء ويسمى (الرعن) ومن أشهر مسالكه الناصفة. (الجنيدل، ١٣٩٨ :٣٧٣)

ب) جبل(جبله)

بفتح أوله وثانيه وثالثه . وهو هضبة حمراء بنجد بين الشريف و الشرف والشريف ماء لبني نمير، والشرف ماء لبني كلاب. (الحموي،مجلد٢ :١٠٤)

وجبله جبل طويل له شعب عظيم واسع. لا يرقى الجبل إلا من قبل الشعب. والشعب متقارب وداخله متسع .

جـ) جبل حليت :

بكسر الحاء المهملة و اللام مشددة بعدها ياء مثناه تحتية وتاء مثناه فوقية حليت جبل من أخيله حمى ضرية عظيمة كثيرة الفنان، وكان فيها معدن ذهب وهو من ديار بني كلاب.

وقال أبو زياد:

حليت ماء بالحمى للضباب وبحليت معدن حليت(الجنيدل ، ١٣٩٨: ٣٧٣)

د) جبل طخفة

هضبة حمراء كبيرة معترضة من الجنوب إلى الشمال شرة بلدة ضرية يحف بها غربًا وادي هرمول.

فيها من منازل حجاج البصرة – كان الطريق يمر من خيشومها الشمالي، وفي غربيها برك من برك الطرق القديمة. (الجنيدل ، ١٣٩٨: ٣٧٤)

وتقع على بعد حوالي (٢٥٠ كلم) من الجهة الشمالية الغربية للدوادمي.

هـ) البيضتين:

هما أقرب الهضال للدوادمي وهما هضبتان لونهما واحد تقعان غرب الدوادمي بما يقارب (١٠كم) وتعرفان بهذا الاسم .

ذكرهما الفرزدق :

حبيب دعا و الرمل بيني وبينه فأسمعني سقيا بذلك داعيا

أعيذكم الله الذي أنتما له ألم تسمعا بالبيضتين المناديا

(الجاسر. الهجري، ١٣٩٨: ٢٢٤)

المظاهر الطبيعية (المنخفضة):

تشمل مظاهر التضاريس المنخفضة (الأودية) ولعل من أشهر هذه الأودية:

أ)وادي الرشاء:

وادي عظيم يطلق عليه اسم التسرير يأتي من الجنوب ويميل نحو الغرب، ويتجه شمالاً مع ميلاً إلى الغرب.

ويضيف ابن بليهد في بحث مطول عن ذلك حيث يقول: والرشاء وادي عظيم من أودية نجد تصب فيه سيول جبل ثهلان بأجمعها و أعظمها وادي الشعراء ووادي بحار وتجتمع كلها في وادي طينان الذي يجتازه خط الحجاز (مكة– الرياض) .(بن خميس، ١٤٠٢: ١٠٧)

ب)وادي بحار: وهو أعلى وادي الرشاء وينحدر من وادي منير.(الأصفهاني، ط١: ١٣٨)

أنواع النباتات: من أهم النباتات التي تكثر في المنطقة:

- النباتات الدائمة مثل (الرمث، العرفج، الأثل، الطلح ، السدر، الإرطاء، العشر، السلم)
- النباتات الموسمية مثل (الحواء- الربله- النصي- الحرمل- الثيل- القرقاص) وغيرها.

النباتات الفطرية التي تنمو عقب الأمطار في الموسم(الفقع- الكمأ- الطرثوث).

٥) روايات الإخباريين عن بيئة الدوادمي الجغرافية

يقول (الجميلي، ١٤٣٣): "الدوادمي ديره على حفره الموتر ما يديور فيها وعلى بوابتين بوابه جنوبية وبوابه شمالية والدكاكين حايله عليها والسكن بيوت طين عل دورين وعلى ثلاثة أدوار والمسجد الموجود فيها من طين مسجد بن صقيران يوم حكم عبد العزيز له قصر في غربها حوالي ١٣٥١هـ"

ويقول (الضويان ١٤٣٣هـ): "الدوادمي ديرة كانت بيوت طين يحدها شعيب من الجنوب وعليها سور ولها بوابتين من الشمال ومن الجنوب وسط نجد وصحراها مرابيع البدو ومفالهيم".

ويقول (أبو زيد ١٤٣٣هـ) الدوادمي قرية وسط صحراء نجد ما بها إلا صحاري ومرابيع عنها من شمال عرجاء ونفي ومن الجنوب ماسل والقويعية ونفود السر وشقراء من الشرق.

يقول (الغبيوي ١٤٣٣هـ) : "كنا بنجد ما نعرف من قرى الحضر إلا الشعراء وهي غرب من الدوادمي وكلهن عليهن سور الدوادمي كان عليها سور يحيط بها له بوابتين من شمال من جنوبه القريتين هن اللي عليهم سور والشعراء كانت أقدم من الدوادمي".

أضاف (الضويان ١٤٣٣هـ) "وسط نجد كانت القبايل فيه كثيرة كانت قبيلة عتيبه تقطن على الشعراء ومطير تقطن على الدوادمي وحرب تقطن على عرجاء وعقيها قدرة عتيبة تنزح القبائل وتسيطر على جو نجد عقب ما تمركزه بوادي الرشا وأقتاره بقول واحد من الشعار، وادي الرشا ما هو ملكن من قديم ياكود من ساق الجمل ثم احتماه هذه الأبيات توضح أن المكان المقصود به (وادي الرشاء) القريب من الدوادمي ومن حدودها الطبيعية لم يكن في السابق مقرًا لقبيلة "عتيبة" وإنما استطاعت السيطرة عليه والتمركز فيه بعد إزاحة القبائل التي كانت قبلها وذلك من خلال الحروب القبلية مع القبائل الأخرى، فإن قول الشاعر (ياكود من ساق الجمل ثم احتماه) يعني أن الجمل كان أحد وسائل القتال وهو من أدوات القوة فسوق الجمل يعني تحرك الجيش و الدخول مع الأطراف الأخرى وإزاحتها عن ذلك المكان ومن ثم "حماية " هذا المكان من المعتدين وعدم تمكينهم من استعادته و احكام السيطرة على الأجواء المحيطة به ومن بينها الدوادمي التي تقع ضمن الدائرة المحيطة به، وقد أشار إلى ذلك (بن خميس في كتابه المجاز : ٨٢) في قوله (ومن أيام العرب الأخيرة يوم سمي (بمناخ الدوادمي) وذلك لأن قبلية مطير أناخت على بلدة الدوادمي، وكانت متآلفة مع قبيلة حرب التي أناخت على ماء عرجاء على قبيلة عتيبة (برقا) التي أناخت على بلدة الشعراء، وعتيبة تسمى المناخ (مناخ الشعراء) باعتبارها على الشعراء ومطير تسمى مناخ الدوادمي باعتبارها على الدوادمي، وحرب تسمى مناخ عرجاء باعتبارها على عرجاء ، وامتد هذا المناخ عشرين يوما يتصاولون ويتجاولون فيه حتى وقع بينهم ما وقع).

يقول(العجاجي،١٤٣٣هـ) "الدوادمي قرية جاءت عقب الشعراء وسكانها أغلبهم من أهل الشعراء اللي نزلوا فيها وقامت الديرة عليه بوسط نجد أراضيها مفالي ومرابيع لأهلها والبدو اللي محيطين بها".

ويضيف (الباهلي ،١٤٣٣هـ) "كانت الديرة لها حمى لحلال أهلها لأن البدو يشدون من مكان إلى مكان وراء الربيع والموارد أما أهل الديرة فحماهم اللي حولهم ما حد يزاحمهم فيها من البدو حسب العرف اللي بينهم".؛ وتوضيح لما أشار إليه الباهلي عن قوله (العرف اللي كان بينهم) يؤكد هذا المصطلح أن البادية والحاضرة كان لديهم تشابه في الخصائص الاجتماعية. فالعرف: بالمفهوم العام هو ما يتم التعارف والاتفاق عليه. أي أن هناك من العادات و التقاليد الاجتماعية ما هو تعارف عليها بينهم حتى تحولت إلى سمة من سمات المجتمع، ولهذا فإنه كما يشير الإخباري أنه حسب ما تم التعارف عليه بين البادية و الحاضرة فيما يعرف بال"حمى" والتي تعني الحدود الطبيعية المجاورة للحاضرة، فإن البادية تحترم هذه الحدود باعتبارها مكان رعي مواشي الحاضرة ذلك بحكم أن الحاضرة مستقرة لا تنتقل لطبل الكلأ لمواشيها كما تفعل البادية التي تنتقل من مكان إلى آخر طلبًا لأماكن الرعي والماء.

إن هذا لاتفاق المعنوي بين فئتي المجتمع البادية والحاضرة يؤكد الاحترام المتبادل وتأكيد حقوق الجوار و الالتزام بما لا يسبب ضررًا على الطرف الآخر

تعقيب:

يؤكد الإخباريون وكما روى الباحثن أن الدوادمي كانت قرية في وسط صحراء نجد وإنها محاطة بسور ولها (بوابتين) من الشمال والجنوب وأن أراضيها تتميز بالنباتات الصحراوية والمناخ الصحراوي يتميز بأنه حار صيفاً بارد شتاء وقليل الأمطار وتسقط الأمطار في فترة الشتاء ولهذا فإن البادية تنتقل في الصحراء المحيطة بها بحثاً عن الأماكن التي يكثر بها الربيع بعد سقوط الأمطار وماء أن يزداد الحر ويبدأ دخول الصيف فإنهم يعودون إلى قرب التجمعات السكانية بجوار قرى (الحاضرة) ويمكثون قرابة الثلاثة أشهر يقول أحد شعار الحاضرة عبد الله بن سبيل.

تسعين ليل وجانب العد ما عيف ولا للشديد مطرين يذكرونه

يوضح هذا البيت بقاء البادية بجوار الحاضرة فترة الصيف والتي حددها بتسعين ليل أي ثلاثة أشهر، بقوله: (تسعين ليل) و الفترة يقضونها البادية بجوار الحاضرة (وجانب العد ما عيف)؛ ويقصد بالعد هو مكان وجود الماء حيث تكون الحاضرة وعدم الرغبة في الانتقال خلال تلك الفترة. و (ولا للشديد مطرين يذكرونه) أي أن البادية التي تفكر دائمًا في الرحيل و التنقل لا تفكر خلال هذه الفترة بالمغادرة و لا يذكرون ذلك رغبة في بقائهم، وهذا يؤكد أن تلك العلاقة الحميمية التي ربطت بين فئتي المجتمع حتى جعلت البدوي الذي لا يستقر بمكان يفضل البقاء بجوار الحاضرة.

وتقع الدوادمي غرب الرياض وتبعد عنها بقرابة ٣٠٠كم بالتحديد في قلب المملكة العربية السعودية على طريق الحجاز القديم الذي يربط الرياض بمكة ، وتتربع الدوادمي على شكل هضبة في مكان فسيح وجوها معتدل ، ويكثر فيها شجر الرمث أو الطلح والأثل والسدر والإرطاء العشرة ، السلم كنباتات دائمة بينما تنمو فيها النبتات الموسمية مثل (الحواء ، الربلة ، الثمام ، النصي ، الحرمل ، الشموم ، الثيل ،السعدان ، العجلة وغير) كما تنمو فيها النباتات الفطرية التي تنمو بعد سقوط الأمطار في الموسم : الفقع " الكماء" ، والطرثوث ، الدق).

ويرون أن تاريخ الدوادمي يعود إلى منتصف القرن الثاني عشر الهجري ومنطقة الدوادمي غنية بالآثار التاريخية القديمة وغالباً ما نتربط برك تاريخية وقد استقرت فيها أحد قبائل البادية)وهي قبيلة(عتيبه) بعد أن استطاعت السيطرة على أجوائها وإزاحة القبائل الآخرة التي كانت بنجد وتمركزة وأصبحت الدوادمي تقع في حماها واستمر الوضع حتى قيام المملكة العربية السعودية .

** كما أوضح الإخباريون أن الدوادمي كانت قرية في وسط صحراء نجد، وأنها محاطة بسور ولها (بوابتين) من الشمال و الجنوب وأن أرضها تتميز بالنباتات الصحراوية و أن أراضيها تتميز بالنباتات الصحراوية و المناخ الصحراوي يتميز بأنه حار صيفاً بارد شتاء وقليل الأمطار وتسقط الأمطار في فترة الشتاء ولهذا فإن البادية تنتقل في الصحراء المحيطة بها بحثاً عن الأماكن التي يكثر بها الربيع بعد سقوط الأمطار وماء أن يزداد الحر ويبدأ دخول الصيف فإنهم يعودون إلى قرب التجمعات السكانية بجوار قرى (الحاضرة) ويمكثون قرابة الثلاثة أشهر يقول أحد شعار الحاضرة عبد الله بن سبيل.

ويرون أن تاريخ الدوادمي يعود إلى منتصف القرن الثاني عشر الهجري ومنطقة الدوادمي غنية بالآثار التاريخية القديمة وغالباً ما تربط ببرك تاريخية وقد استقرت فيها أحد قبائل البادية وهي قبيلة(عتيبه) بعد أن استطاعت السيطرة على أجوائها وإزاحة القبائل الأخرى التي كانت بنجد وتمركزت وأصبحت الدوادمي تقع في حماها واستمر الوضع حتى قيام المملكة العربية السعودية .

تعقيب:

لاشك أن البيئة الجغرافية وكما أوردها الإخباريون وتوسطها وسط نجد في أرض منبسطة تتميز بالمراجع وتنوع النباتات الطبيعية الصحراوية وقد أشار إلى ذلك عبد الله بن خميس في كتابه (المجاز بين اليمامة والحجاز) مرجع سابق؛ وما أورده بن جنيدل في كتابه المعجم الجغرافي – عالية نجد ج١ ص٣٧٣) وأنها أرض منبسطة تقع وسط نجد بين الحجاز والرياض.

وما أكد عليه الإخباريون من وصف الدوادمي كيف كانت قبل قيام المملكة .

ومن هنا فإن البيئة الجغرافية للدوادمي المعروفة في محيط أجوائها الأمر الذي أدى إلى أن تكون الدوادمي وغيرها من قرى الحاضرة كالشعراء ونفي و التي يسكنها الحاضرة في دائرة السيطرة لقبيلة عتيبة بعد إزاحة القبائل المتصارعة معها في تلك الفترة ولكون البيئة الجغرافية تعتبر من العوامل التي أدت إلى نشوء العلاقة التعاقدية بين فئتي المجتمع(البادية والحاضرة) حيث حتمت الظروف الجغرافية التي جمعت بين الفئتين ضرورة التعايش وتقبل كل منهما الآخر الأمر الذي نتج عنه تلك العلاقة التعاقدية البيئية الجغرافية بينهم.

فالبادية يجدون أنفسهم يحتاجون لتوثيق وتأكيد هذه العلاقة. كما هو الوضع مع الحاضرة والتي هي بحاجة إلى أن تأمن على نفسها وعلى مجتمعهم الحضري خاصة تلك القرى التي أصبحت ضمن سيطرة البادية على أجوائها و من هنا برزت الحاجة إلى تلك العلاقة التعاقدية الأمر الذي جعل لكل من الفئتين دورًا يتحمله تجاه الآخر.

فالبادية التزمت معنويًا بالذود عن الأجواء الجغرافية المحيطة بقرى الحاضرة التي أحكمت قبضتها عليها.

كما أن الحاضرة وجدت نفسها تحت مأمن القبيلة المسيطرة والتي استطاعت التمركز في الأجواء المحيطة بها و إزاحة العديد من القبائل الأخرى التي كانت بينها صراعات على السيطرة.

ومن هنا فإن البيئة الجغرافية التي جمعت بين فئتي المجتمع (البادية والحاضرة) كان لها بالغ الأثر في تجسيد العلاقة التعاقدية البيئية بينهم وهذا ما نسعى للوصول إليه في هذا البحث ولعل **من العوامل التي أدت إلى نشوء العلاقة البيئية الجغرافية:**

١) رغبة البادية في أن تكون لها مواضع القدم بعد أن استطاعت إزاحة العديد من القوى العبلية المنافسة على الأجواء المحيطة بالدوادمي.

٢) تميز الأرض والأجزاء المحيطة بالدوادمي أو(عالية نجد)بوفرة النباتات الرعوية والمياه التي هي المطلب الرئيسي لتنقل البادية من مكان لآخر بحثًا عنها لماشيتهم، والدافع المباشر وراء السيطرة عليها وحمايتها من الاعتداءات الخارجية.

٣) وجود العديد من قرى الحاضرة التي أصبحت تقع ضمن نطاقها الجغرافي و الحماء التي تسيطر عليها مما يسهل على البادية توفير متطلباتهم من قرى الحاضرة التي كانت أقدمها قرية (الشعراء) و (الدوادمي) و(نفي) .

٤) تعتبر الحاضرة القوة الاقتصادية ولهذا نحتاج إلى تقوية علاقتها مع البادية كي تأمن على تجارتها واقتصادها.

٥) نتج عن التجاور بين البادية والحاضرة مما يسمى (بالقطين) والذي يعني بقاء البادية في وقت الصيف بجوار قرى الحاضرة نوعًا من الألفة التي ربطته وقوة العلاقة بين الفئتين كان من العوامل التي أسهمت إلى تجسيد العلاقة التعاقدية البيئة الجغرافية بينهم.

٦) أتساع الرقعة الجغرافية المحيطة بقرى الحاضرة و التي تجعل منها مطمع للقراصنة يشكل حاجة ماسة لهذه العلاقة التعاقدية.

٧) عدم وجود السلطة السياسة التي تتحمل مسؤولية فرض الأمن والحياة المستقرة قبل قيام المملكة العربية السعودية .

ومن هنا كانت البيئة الجغرافية وما تمثله من موقع يتوسط شبه الجزيرة العربية و التنوع النباتي الرعوي والقسوة المناخية المتمثلة في المناخ الصحراوي جعل الحاجة التعاقدية بين فئتي المجتمع (الحاضرة والبادية) ضرورة حتمية في تجسيد هذه العلاقة بينهما إضافة إلى حاجة كل منهما للآخر حيث كان لكل منهما دورًا يكمل به الآخر.

ثانياً :العلاقة التعاقدية في الاجتماعية بين مجتمع الحاضرة والبادية في محافظة الدوادمي :

الحالة الاجتماعية في نجد قبل قيام المملكة: كانت نجد من أقل مناطق العرب تأثراً من حيث اختلاط العناصر غير العربية بالسكان لأنها بعيدة عن مواطن الامتزاج السكاني كالمناطق الساحلية والأماكن المقدسة وأغلب سكانهم ينتمون إلى قبائل عربية معروفة النسب، أما الأقلية منهم فكانت فئات متعددة وبعضها عربية الأصل لكن أصلها ضاع أو سلب وبعضها من أصول غير عربية أتت إلى البلاد بطرق مختلفة كالرق أو مزاولة بعض المهن التي كان أهل المنطقة يرون أنها تقلل من أصحابها، كما كانت النظرة الاجتماعية لدى النجديين نظرة قبلية.

www.social-team.com/shwthead.php?t=3709

إن المجتمع النجدي نتيجة لاعتزازه بالقبلية التي ينتمي إليها والتي لها جذورها التاريخية جعلتها تمتاز بعدم الاختلاط في الأنساب فهي تعتز بأنسابها و أصولها العربية الأصيلة، حيث كان أفراد القبائل النجدية يستعيبون العمل في بعض المهن الحرفية التي ينظرون إليها نظرة دونية (كالصانع) والذي يمتهن صناعة الأدوات الحربية والأمتعة و الأواني و (النحّاس) وهو الذي يقوم بسبك الأدوات النحاسية وتلميعها . و (الجزار) الذي يمتهن بيع اللحوم ، وغيرها من المهن التي كانت القبيلة ترفضها وما زالت جذورها حتى وقتنا الحاضر.

إن التقسيم الاجتماعي في المجتمع النجدي يقوم على "البادية" وهي القبائل العربية ذات الأصول والأنساب المعروفة ، وكذلك "الحاضرة" التي تعود بأصولها و أنسابها إلى القبائل العربية إلا أنها أخذت بالتحضر و الاستقرار في أماكن معينة فأصبحت تعرف بـ"الحاضرة" ومن هنا فإن فئتي المجتمع النجدي وخاصة مجتمع الدوادمي ببادیته وحاضرته كان حريصًا كل الحرص على أصوله وأنسابه الممتدة من جذوره العربية وهذا ما جعله يرفض العمل في المهن التي يرون أنها ذات دونية تقدح في ممتهنيها. وكذلك التشابه في العادات والتقاليد و القيم الاجتماعية التي يعتزون بها كالكرم الذي هو من سمات المجتمع النجدي بفئتيه فإكرام الضيف سمة اجتماعية مشتركة وحفظ الأمانة والوفاء بالعهود وغيرها من القيم الاجتماعية التي تأصلت في المجتمع وأكدها موروثها الديني الإسلامي الذي يقوم على مكارم الأخلاق.

أما من حيث المعيشة فإن المجتمع كان ينقسم إلى حاضرة وبادية وكان من أهم دوافع الاستقرار عوامل المناخ فقد ترغم أيام القحط البدو على الاتجاه إلى البلدان إبقاء لحياتهم وجاء استقرار النجديين التي توفر فيها مصادر المياه اللازمة لقيام الزراعة مثل جوانب الأودية و الواحات وقد يكون اختيار الموضوع الاستقرار ناتج عن وقوعه على الطرق التجارية.

و إضافة إلى ما ذكر في نجد قبل قيام المملكة فإن الحياة الاجتماعية بالدوادمي التي تتوسط منطقة نجد بين فئتي المجتمع تقوم على مجموعة من العادات والتقاليد الاجتماعية التي تمتاز بالأصالة والقيم النبيلة والوفاء بالعهود وحفظ الأمانة واحترام حقوق الجيرة.

وسوف نستعرض في هذا المحور بعضًا من الموضوعات الاجتماعية التي تجسد هذه العلاقة التعاقدية الاجتماعية بين البادية والحاضرة في تلك الفترة قبل قيام المملكة العربية السعودية والتي كانت تبرز

عمق تلك العلاقة الاجتماعية، وفيما يلي بعضًا من تلك الصور التي توضح متانة هذه العلاقة التعاقدية : وينقسم هذا المحور إلى مجموعة من الموضوعات التي تؤدي في غرضها إلى التعاقد بين فئتين اجتماعيتين يعيشون في منطقة جغرافية محددة وهي:

١- وضيع البدو:

٢- القطين

٣- المصاهرة والنسب:

٤- يوم الجمعة عند(الحضر والبادية)

١- وضيع البدو:

وذلك حين رحيل البدو، والتنقل من مكان إلى آخر فإنهم يضعون بعض ممتلكاتهم عند بعضًا من الحاضرة كنوع من العلاقة التعاقدية وتقوم الحاضرة بالحفاظ عليها لحين عودتهم مرة أخرى سواء كان من السفر أو العودة للاستيطان خلال فترة الصيف وقد يتعرض الحضر إلى سلب أو سرقة لهذه الممتلكات ويدافعون عنها حتى الممات وهذا ما يقصد به بـ (وضيع البدو)، ولهذه الصورة بُعدها الاجتماعي حيث أن تلك الأموال التي تتركها البادية لدى الحاضرة أمانة لديها حتى عودتهم وقت دخول الصيف .

ومن هنا فإن العلاقة التعاقدية فيما يسمى بوضيع البادية تؤكد قوة الروابط التي تجمع بين فئتي المجتمع

والتي جاءت نتيجة الجوار بين البادية والحاضرة وخلال فترة ما يسمى بالمناخ والمأخوذة من إناخة الجمال بجوار الحاضرة خلال فترة الصيف، والذي يعني أن البادية من القبائل حينما تتوافد للاستقرار المؤقت بجوار الحاضرة نتيجة ارتفاع درجة الحرارة وقلة سقوط الأمطار كانت تعرف هذه الحالة بـ(المناخ) ، ويعني ايضاً الاستعداد للقتال حيث اناخت الجمال قرب المواجهه القتالية بين القبائل المتصارعة .

إن مصطلح المناخ كان يعرفه المجتمع النجدي ويؤرخون به فيقولون سنة (مناخ الشعراء) وسنة (مناخ الدوادمي) و سنة (مناخ عرجاء) وهكذا. فيوثقون بذلك الأحداث التاريخية التي يعاصرونها ولهذا فإن المناخ يعني أن القبيلة بكامل فروعها تستقر بجوار الحاضرة، وقد أشار إلى ذلك (بن خميس في كتابه (المجاز بين اليمامة و الحجاز) مرجع سابق. حيث يقول أناخت عتيبة بجوار الشعراء و أناخت مطير بجوار الدوادمي وأناخت حرب بجوار عرجاء)

مما يؤدي إلى زيادة الروابط الاجتماعية بينهم، وتتجسد معاني الجيرة واحترام الحقوق و نشوء العلاقات الاجتماعية وكل هذا يؤكد إلى تجسيد تلك العلاقة التعاقدية بينهم في المواثيق والعهود وحفظ الأمانة.

ولعل ما أشار له (بهذا الصدد يؤكد متانة هذه العلاقة فقد أشار (الضويان ،١٤٣٣هـ) أنه كانت قبيلة عتيبه بعدما تمكنت من السطيرة على اجواء نجد إذا جاء الربيع بعد الصفري تترك (الوضيع) والوضيع هو أرزاقهم وأغراضهم الثمينة عند الحضر وتركوا وضيعهم عند أهل الشعراء وجاء من يبي يأخذ

وضيعهم من عند أهل الشعراء وكانت قوة متحالفة ويوم جو لأهل الشعراء طلبوهم يعطونهم وضيع عتيبه ورفضوا أهل الديرة وقالوا آجل الحرب قالوا الله عليكم عوبين وما استطاعوا على أهل الشعراء لانهم متحفظين بالديرة واستمروا على قتالهم يوم عجز فيهم رضوا بالصلح معهم وقاموا أهل الشعراء وعطوهم ٥٠صاع من الشعير وعشرين من الغنم يقول واحد من أهل الشعراء يوصف ما حدث:

هاضني عصرية تجلي الحسايف عقبها يا بو سعد نومي هناني

يوم ثار الملح من عال الشرايف قاده الله لين صاب القر مهاني

ويقول شاعر من أهل الشعراء في قصيدة ثانية :

سر وملفاك شيخن يتبعه لابه كيف مثله ودايعنا يطريها

توضح الأبيات الشعرية المذكورة أن الحالة التي أحاطت بأهل الشعراء نتيجة للغزاة الذين حاصروها في غياب من قبيلة عتيبة التي أودعت إليهم أمانتهم و أرزاقهم جعلت أهلها من الحاضرة يستميتون دون التفريط في تلك الأمانة رغم قوة المعتدين وكثرتهم وتنوع عتادهم وما معهم من نوعية مستخدمة في السلاح لم تكن معروفة كـ(المدفع) وهو أحد الوسائل القتالية الفتاكة بالرغم من ذلك صمدوا واستطاعوا أن يتغلبوا على المعتدين ولم يمكنوهم من أخذ ما لديهم مما يسمى بـ (وضيع عتيبة) وأمانتهم ولهذا فإن الشاعر يصف بعضًا مما حدث في قوله (هاضني عصرية) أي أثارت مشاعري ما حدث وقت العصر من انهزام المعتدين (تجلي الحسايف) ما محته من هموم كانت تسيطر على أهل الشعراء حيث وجه كلامه لأحد أبناء قريته يوضح له كيف استطاع أحد المقاتلين من أهل الشعراء أن يفجر ذلك المدفع ببندقيته التي كانت يحشى بارودها بالملح، وذلك بقوله (يوم ثار الملح من عالي الشرايف) أي تلك الزوايا التي تحيط بسور قرية الشعراء ثم كيف بأمر الله أن ينفجر ذلك المدفع بقوله (ساقه الله) يعني أي هيأ له الله أن أصاب ذلك الهدف القرمهاني ويقصد به المدفع .

تلك الأبيات تعبر عن شيء من الحالة التي كان عليها المقاتلين الذين يذودون عن أمانتهم بالرغم من قلة عددهم وكثرة أعداد الغزاة، وفي قصيدة أخرى وجهها أحد شعار الشعراء في الأبيات التي وجهها لقائد الجيش المعتدي الذي حاصر قرية الشعراء مدة تجاوزت العشرين يومًا ثم أنسحابه مفلسًا خاسرًا وكان الشاعر يعاتبه بقوله (سر وملفاك شيخن يتبعه لابه) كما أفاد (الضويان١٤٣٣) ومع أنهم معتدى عليهم إلا أنهم يوقرون أصحاب المكانة والوجاهة وذلك بقوله(شيخن يتبعه لابه) ومن معهم من الفرسان ثم يستمر بمعاتبته بقوله(كيف مثله ودايعنا يطريها) أي كيف مثل من له شأنه ومكانته يفكر أن يسلب أمانة أودعت لدينا واستؤمنا عليها .

تعقيب :

لاشك أن هذه الأبيات تجسد معنى قوة العلاقة التعاقدية التي ربطت بين البادية متمثلة في قبيلة عتيبة ، والحاضرة من بني زيد وغيرهم من أهل الشعراء والدوادمي فأولئك أستأمنوا أهل الحاضرة على أموالهم وتركوها لديهم لمعرفتهم بوفائهم وقدرتهم على حفظها؛ أما الحاضرة فإنها رضيت بمواجهة العدو بالرغم من قوته في سبيل الحفاظ على ما استأمنوا عليه وتعاقدوا على الوفاء به.

٢ – القطين:

أما ما يعرف بالقطين فهو يعبر عن استقرار بعضًا من القبيلة بجوار قرى الحاضرة التي تكون غالبًا خلال فترة الصيف نظرًا لارتفاع درجة الحرارة وقلة سقوط الأمطار ورغبة في تبادل المنافع التجارية و التواصل الاجتماعي ويتحدث (الغبيوي ،١٤٣٣هـ) كان البدو إذا جاء القيض وأشتد الحر ينزلون على الديرة وهذا يسمونه القطين ويبقون مجاورين للحضر وتصير بينهم جيره ومحبة ويصيرون ربعن واحدين يوصف ابن سبيل في قصيدة إذا قاموا البدو يستعدون للرحيل عقب ما ينزلون الحياء ويجي البراد في الصفري.

لا والله اللي حل بالبدو نوناه وثور عسام الجو مما عفتبه
البيت طون الخدم زبن مبناه وطوي ذراه وقينة الزمل جتبه
وشالوا على اللي فالمبارك مثناه وما حط فوق وسوقها زوعتبه

تروي هذه الأبيات الوصف الدقيق لأحد شعراء الحاضرة وهو الشاعر المعروف بنجد من أهل قرية نفي شمال الدوادمي (عبد الله بن سبيل) و الذي عرف بحبه للبادية حينما يتوافدون لمجاورة الحاضرة في فصل الصيف ، وكان يتميز شعره بالعذوبة والوصف الدقيق ومن ذلك ما ذكره في الأبيات السابقة التي يشرح فيها الحالة الاستنفارية التي بدأت في مجتمع البادية المجاورون للحاضرة في التفكير وكثر الكلام عن الرحيل في قوله (لا والله اللي حل بالبدو نوناه) فكلمة نوناه تعني الكلام بينهم والتشاور في موعد الرحيل و الانتقال بعد فصل الصيف ثم يصف ما يحدث في المكان بقوله (وثور عسام الجو مما عفتبه) أي أن كثرة الحركة أثارت الغبار و الأتربة وذلك ناتج عن الاستعداد للرحيل ويستطرد في وصفه بقوله (البيت طون الخدم زبن مبناه) أي أن بيوت البادية من الشعر بدأ طيها من قبل خادمات القبيلة ثم بدأ بوصفه (وطوي ذراه وقينة الزمل جتبه) ويقصد الذرا أروقة بيت الشعر بعد طيها و قينة الزمل هي الخادمة المسئولة عن إحضار الإبل التي يحمل عليها المتاع ، ويقول (وشالوا على اللي فالمبارك مثناه) ويقصد بها الإبل المقيدة لنقل الحمل عليها ، ويقول (وما حط فوق وسوقها زوعتبه) أي أن هذه الابل هي ذات قوة وصلابة في القدرة على قيامها بسرعة بما عليها من أحمال ، ولهذا فإن حنين الشاعر للبادية ومعاناته لفراقها تجسد وصفًا دقيقًا لحالة تلك العلاقات الاجتماعية التي تربط بين البادية والحاضرة.

ويتحدث (الجميلي ،١٤٣٣هـ) كانو البدو يجوون وينزلون ليا جاء الصيف حول ديرة الحضر مثل الدوادمي والشعراء يقول شاعر من الحضر اسمه عبد الله بن سبيل :

يا عين وين أحبابك اللي تودين اللي لياجوا الوطن ربعوبـه
عهدي بهم باقن من السبع ثنتين قبل الشتاء والقاض زل محسوبه
قفت جهامتهم مع العرق قسمين الزمل حدر والضعن سندوبـه

يوصف الشاعر عبد الله بن سبيل حال جيرانه البدو موجه الكلام للعين بقوله (يا عين وين أحبابك اللي تودين) ويقصد بهم البادية الذين يحبهم فيوجه النقاش و الحوار مع نفسه ويقول (اللي لياجوا الوطن ربعوبـه) أي إذا اتوا إلى الأماكن التي فيها ربيع استقروا فيها وهي غاية مطلبهم ثم يتحدث

بقوله(عهدي بهم باقن من السبع ثنتين) وهي علامات نجميه يعرفها المجتمع النجدي مجرد اختفائها يخرج وقت الصيف ويعتدل الجو استعدادًا لفصل الشتاء بقوله (قبل الشتاء والقاض زل محسوبه) ويضيف (قفت جهامتهم مع العرق قسمين) أي مواشيهم مع العرق ويقصد به طرف الكثبان الرملية مع الصحراء ثم يقول (الزمل حدر والضعن سندوبه)أي أن الإبل التي عليها الأمتعة اتجهت شرقًا كما هو معروف عند أهل نجد بالحدور (و الضعن سندوبه) المواشي اتجه بها غربًا وصفًا عن حالة رحيلهم.
إن هذه الأبيات و التي قالها أحد شعراء الحاضرة تؤكد وتوثق عن تلك العلاقات التعاقدية المتينة التي كانت ترتبط أفراد مجتمع البادية والحاضرة بعضهم مع بعض .

٣- المصاهرة والنسب:

الزواج:

يعتبر الزواج من أقوى الروابط الاجتماعية التي تجمع المتباعدين في النسب بل ومن أهم الركائز التي تؤكد قوة تلك الروابط ونتيجة لتلك العلاقة تتقارب الأسر وينتج عن هذا التقارب التعايش و التمازج العائلي الذي يؤدي إلى متانة العلاقة بين البدو والحضر وهنا يؤكد الإخباريون أنه نتيجة لحالة الجوار التي تجمع بين البادية الذي يقدمون إلى قرى الحاضرة في فصل الصيف(يقطنون) بجوارهم فترة من الزمن جسدت لديهم المودة بينهم والتعارف الذي أنتج عن عدد من حالات الزواج.
وكما يفيد (الباهلي ١٤٣٣) أن (الزواج) بين البادية والحاضرة لم يكن بشكل كبير وإنما كان زواج البادية من الحاضرة يتم في حالة استقرار بعض أبناء البادية في قرى الحاضرة وتركه للرحيل وامتهان الزراعة و الفلاحة حتى أصبح من مجتمع القرية وهناك العديد من فروع بني زيد قد تزوجوا من بنات البادية و أصبحوا يرتبطون بعلاقات قرابة ونسبية منذ زمن بعيد وصار لهم جذور عائلية تربطهم بقبيلة عتيبة بفرعيها (برقا وروق) ومن أبناء قبيلة عتيبة من تزوج من بنات الحاضرة في تلك الفترة الزمنية وخاصة الذين استوطنوا مع الحاضرة ونتيجة لهذه العلاقات التي أخذت صفة التمدد والاستمرار حتى وقتنا الحاضر.
كما أن عادات الزواج أو ما يسمى بحفلة الزواج وكما يرى (الضويان١٤٣٣) كانت تتميز بالبساطة وعدم التكلف فبمجرد قبول مبدأ الزواج والموافقة و القبول تكون مراسم الزواج بسيطة يأتي الزوج بوليمة بسيطة دون تكلف ويتم مراسم الزواج بعد أن يتم تسليم المهور التي لم تكن أيضًا فيها كلفة على الزوج و إنما هي مما يتم فيه عرف المجتمع كإحضار (زولية) وهي نوع من السجاد وبعض الملابس التي تقدم على شكل أقمشة معروفة لديهم.
وكما يؤكد (الجميلي(١) ١٤٣٣) أن التعاون في ليلة مناسبة الزواج بين أفراد المجتمع تكون من خلال إحضار ما ينقص الطرف الآخر من (أدوات الطبخ – القهوة– الفرش) أو غيرها ويتم حفل الزواج بشكل بسيط وميسر مما جسد روح التعاون والمحبة .
ويتحدث (أبو زيد ،١٤٣٣هـ) كانت علاقة البدو والحضر علاقة طيبة البدو يحبون حضر الديرة وأهل الديرة من الحضر يحبون جيرانهم البدو وصار بينهم مصاهرة ومناسب تزوج الحضر من البدو والبدو تزوجوا منهم) كانت حياتهم بسيطة ما فيها تكاليف.

ويضيف (الجميلي ٢، ١٤٣٣)

كانت العلاقة والألفة اللي بين البدو والحضر ما فيها تناقص لأحد منهم كان بينهم مصاهرة من تالي كانت الزواجات بسيطة ما فيها تكلف يخطب الرجال وإذا وافقوا عليه يكون المهر عبارة عن زوليه ما يسمونه السجاد هالحين والثوب المجزع وهو ثوب وسيع ألوانه كثيرة ويذبح ذبيحة ويأخذ حرمته وعند الحضر تقريباً نفس الطريقة ما فيه فرق العادات واحده والسلومه متقاربه بينهم.

يؤكد(العجاجي،١٤٣٣هـ) "ان الحياة اللي كانت في القديم بالرغم إلا أن الزواجات كانت ما فيها مشقة وكلفة لأن الناس كانت تحترم السلوم والعادات والسجايا الحميدة وما يرضون بالضعف والغدر والخيانة ويحبون الكريم والمضياف لأن الناس كانت فيها قل وضعف والكريم كان يعرف بذكره أن كان عند البدو والا الحضر وكانت بين البدو والحضر مصاهرة وأنساب".

تعقيب :

لاشك أن ما تم استعراضه عن موضوع المصاهرة والنسب بين فئتي المجتمع (البادية والحاضرة) قبل قيام المملكة في المجتمع النجدي وخاصة مجتمع وسط نجد وما فيها من قرى الحاضرة التي من بينها (الدوادمي)

يجسد روح العلاقة التعاقدية الاجتماعية التي انبعثت عن الروابط الاجتماعية التي جمعت بينهم أن هذه الصور الاجتماعية وإنما صورة النسب والمصاهرة وعادات الزواج نؤكد أن هناك علاقة تعاقدية استمرت بتوثيق عرى القرابة و الصلاة الاجتماعية بينهم و التي بلاشك كانت أحد دعائم الاستمرارية التي جمعت بين مجتمع البادية و الحاضرة خلال تلك الفترة أي قبل قيام المملكة و التي استمرت حتى عصرنا الحاضر.

وكانت هناك بعض الخصائص التي أدت إلى التزاوج بين أفراد البادية والحضر نوضحها فيما يلي:

١) الكفاءة الاجتماعية: كان من الأمور الهامة للمتقدم للزواج هو كفاءته من دين وحسبٍ ونسبٍ إضافة إلى بعض الصفات كالكرم و الشجاعة والمروءة، إضافة إلى أنه لا يمكن أن يتزوج قبلي من خضيري أو عبد لأنه يراهم دونه في الكفاءة و لا يزوجونهم وهذا الأمر ساريًا بين الحاضرة والبادية.(حصة الزهراني، ١٤٢٥: ص٢٩٣)

٢) التشابه في الخصائص الاجتماعية: بين فئتي المجتمع، حيث أن المجتمع النجدي كان يتميز عن غيره بسمات وخصائص اجتماعية وحدت وقربت بين أفراده إلى حدٍ كبير الأمر الذي أدى إلى وجود علاقة الزواج بين فئتيه.

٣) استقرار البادية وعدم ترحلها : إن أحد دوافع الزواج إضافة إلى ما سبق هي استقرار البدوي في القرية وتركه للرحيل و الترحال وعمله بأحد الحرف المهنية كالزراعة أو التجارة وهذا يسهل عملية الزواج بين البادية و الحاضرة، حيث كانت هناك العديد من الروابط الزواجية والنسب بين الحضر والبدو ما زالت موجودة ومتبعة ولها جذورها التاريخية القديمة في مجتمع الدوادمي . بين العديد من أبناء البادية و الحاضرة .

٤) الحاجة لزيادة الروابط وتقوية العلاقة بين البادية والحاضرة: لاشك أن الزواج هو أحد أسباب بل أهم المسببات في تقوية العلاقة الاجتماعية بين أفراد المجتمع خاصة إذا كان منسجمًا مع البناء الاجتماعي لذلك المجتمع.

ومن هنا نستطيع القول أن ثوابت العلاقة التعاقدية ترسخت من خلال حالة المصاهرة و النسب والتي كانت بعدد من حالات الزواج بين فئتي المجتمع (بادية وحاضرة).

٤- يوم الجمعة عند(الحضر والبادية)

إن لهذا لليوم قدسية والاهتمام عند فئات المجتمع (البادية والحاضرة) فهو يوم تقام فيه صلاة الجمعة التي يجتمع فيها (البادية والحاضرة) ويؤودونها جماعة عند قرى الحاضرة وقد تميز هذا اليوم ببعض الأنشطة نذكر منها:

١) البيع والشراء :

بمجرد الانتهاء من صلاة الفجر يوم الجمعة يبدأ الناس من البادية بالتوافد إلى البلدة إضافة لهدف أداء صلاة الجمعة يكون الحاجة إلى التبضع والشراء وبيع ما يحتاجه من إقط أوسمن أو ماشية ويشتري ما يحتاج إليه وهنا كم يفيد (أبو زيد ، ١٤٣٣) " يكون السوق يعج بالناس المتبضعين سواء من البادية أو الحاضرة، فالتاجر يستعد لهذا اليوم بجلب ما ينقص متجره من متطلبات البادية بغية البيع و التربح في هذا اليوم" ويعتبر هذا النشاط في هذا اليوم من أيام الأسبوع بشكل تواصل اجتماعي بين فئتي المجتمع البادية والحاضرة الأمر الذي من خلاله يتم التواصل الاجتماعي بين فئتي المجتمع البادية و الحاضرة حيث تقدم البادية في هذا اليوم رغبة في البيع والشراء لما تحتاجه من مستلزماتها اليومية مما يؤدي إلى تكوين علاقات وتقوية و الروابط الاجتماعية والتجارية و التي تؤدي بدورها إلى تنشيط وتعزيز عملية التعاقد الاجتماعي.

٢) صلاة الجمعة وما بعدها:

حينما يبدأ النداء للصلاة وكما يفيد (الباهلي ١٤٣٣) يتوقف كل شيء، ويبدأ الناس في التوافد لسماع خطبة الجمعة وأداء الصلاة بشكل فيه من المعاني الروحية التي تجمع بينهم، فالبادية التي تقدم إلى قرى الحاضرة بهدف أداء الصلاة جماعة وما تجسده من تلاحم بين فئتي المجتمع. وهناء أشياء كثيرة من العلاقات الاجتماعية التي تحدث بين الناس وما ينتج عنها:

أ- التعرف أكثر بعضهم ببعض .

ب- توثيق العلاقة فيما بينهم.

جـ- سماع الأخبار.

د- بناء علاقات تجارية و أخوية .

هـ- فهم خصائص بعضهم البعض .

٣) دعوة الغداء: غالبًا ما يتوافد الناس من البادية وخاصة شيوخ البادية الذين يقدمون من أطراف قرى الحاضرة مع أفراد قبيلتهم من نواحي مختلفة كما يروي (الباهلي ١٤٣٣) فكل من هؤلاء لديهم معارفه من الحاضرة وبمجرد انتهاء صلاتهم يقوم أعيان الحاضرة بدعوتهم وتناول وجبة الغداء معهم ويعتبر

هذا اليوم مؤتمرا دينيا اجتماعياً يجمع الحاضرة بالبادية، حيث يتبادلون أطراف الأحداث وتناول الأخبار التي تهم شئون حياتهم التجارية و الاقتصادية و الاجتماعية.

ويقول (أبو زيد،١٤٣٣هـ)كانت من العادات بين الحضر أهل الديرة إذا جاء يوم الجمعة وتجمعوا البدو اللي جاين شمال واللي من جنوب وصلوا الجمعة يتعازمونهم ويغدونهم ويتوانسون مع بعض وكلن يقول ما عنده علوم وأخبار وكان هذا هو وقت تجمعهم الأسبوعي الحضر وشيوخ القبيلة .

تعقيب:

إن هذه الصور الاجتماعية التي استعرضنا بعضًا منها في هذا المحور، وما جسدته من خصوصية العلاقات التي كانت قائمة بين فئتي المجتمع في تلك الفترة قبل قيام المملكة تعكس عن خصوصية تلك العلاقة التعاقدية التي يمكن إرجاعها إلى بعض العوامل وفقًا لرؤية الباحث ومنها:-

أولا: تشابه العادات والتقاليد بين البادية و الحاضرة في المجتمع النجدي بشكل عام ومجتمع الدوادمي بشكل خاص.

ثانيًا: تعظيم الأمانة والوفاء بالعهود واحترام المواثيق كانت من أهم الركائز بين فئتي المجتمع.

ثالثًا: الحاجة التعاضدية بين فئتي المجتمع، فالبادية تجد احتياجها لتقوية علاقتها التعاقدية مع الحاضرة باعتبار أنها القوة الاقتصادية الداعمة لها، كما أن الحاضرة تجد الحاجة لتلك العلاقة التعاقدية مع البادية أمرًا بالغ الأهمية لتشكل لها الغطاء الأمني.

رابعًا: وجود الألفة بين الفئتين كانت تجسد مجاورة البادية للحاضرة خلال فترة الصيف مما يتجاوز الثلاثة أشهر أكد على تلك الألفة والترابط الاجتماعي وثق عملية التعاقد الاجتماعي.

خامسًا: تنوع الصور الاجتماعية في حياتيهم اليومية من كرم وتزاور وتسامر وغيرها كانت تشير حسبما أفاد به الإخباريون إلى تقوية الروابط الاجتماعية والتي نتج عنها تلك العملية الاجتماعية التعاقدية.إن هذه العوامل وغيرها من العوامل بلاشك كانت ما أسهم في توطيد هذه العلاقة فقد اتفق الإخباريون أن العلاقة الاجتماعية التي تربط بين فئتي المجتمع كانت علاقة طيبة واحترام حقوق الجوار والعهود الاجتماعية التي كانت قائمة بينهم كانت تجسد الترابط الاجتماعي حيث كانت البادية تترك ما يسمونه (الوضيع) وهي أغراضهم وأرزاقهم إذا انتهى فصل الصيف وأراد أن يرتحلون طلباً للمراعي فكانت الحاضرة تقبل تحمل حفظ هذه الأمانات التي يتركونها عندهم ولا يسمحون بأن يفرطوا في حفظ هذه الأمانة حتى ولو كانت حياتهم هي الثمن ولعل ما حدث من قصة (وضيع عتيبة) عند أهل الشعراء حسب ما أورده الإخباريون واتفقوا على روايته يؤكد هذا المعنى كما أن تقبل بعضهم للآخر والتجاور في المكان وقت الصيف أوما يطلقون عليه (القيض) وما يحدث فيه من توثيق العلاقات الاجتماعية بينهم والجوار الذي يلتزمون بحقوقه فيما بينهم عبر الأزمنة كان يجسد هذا التقارب الاجتماعي بصوره المختلفة بين فئتي المجتمع وقد أدى ذلك إلى حدوث مصاهرة وانساب بين الفئتين حيث حدث حالات من الزواج بين الحضر والبدو وتزوج الحضر من البدو وكذلك تزوج البدو الذين استقروا ولم يعودوا إلى حياة الرحيل والترحال من بنات الحضر و أصبح هناك بعض العائلات في مجتمع الدوادمي من

الحاضرة والبادية تربطهم علاقات نسب قديمة وهذا الأمر يؤكد حقيقة المرحلة الترابطية التي كانت مساندة بين الفئتين قبل قيام المملكة العربية السعودية.

ثالثاً : العلاقة التعاقدية في الاقتصادية بين مجتمع الحاضرة والبادية في محافظة الدوادمي :

أولاً : الزراعة

شكلت الظروف البيئية صعوبة تواجه هذه الحرفة. حيث لم تكن هناك مقومات الزراعة التي تعتمد عليها وذلك يرجع إلى موقعها ومناخها الصحراوي حيث تقوم الزراعة على عدد من العوامل منها (توفر المياه – خصوبة التربة – الظروف المناخية – الأيدي العاملة).

وكانت المياه في الدوادمي وما جاورها من خلال (مياه الأمطار) الموسمية وحفر الآبار الجوفية التي كانت هي المصدر الوحيد .

ولهذا فقد كانت معاناة المجتمع سواء من البادية التي تجد نفسها مرغمة في فصل الصيف وارتفاع درجة الحرارة ونضوب المياه السطحية إلى مجاورة قرى الحاضرة خلال فترة شهور الصيف حتى تتحسن الأجواء، وكما هي معاناة البادية فإن الحاضرة هي الأخرى تجد صعوبة في توفير المياه الجوفية التي تقوم عليها زراعتهم المحلية والتي تمثل مصدراً هاماً لمنتجهم الزراعي الذي تقوم عليه معيشتهم (كالقمح – الذرة – الشعير – وغيرها ....)

ولهذا كانت هناك صعوبة في حفر الآبار التي تواجه سكان الحاضرة و البادية وتتمثل فيما يلي:

١) الصعوبة الطبيعية للتربة لوجودها على كتل صخرية عريضة كما يسميها الجيولوجيون الآن في وقتنا الراهن بحزام (الدرع العربي) الواقع على هضبة نجد.

٢) عدم وجود الآلات التي تعين على الحفر حيث كانت الآلات بدائية البسيطة (كالمحافير – العتل – الفؤوس) هي الأدوات المتاحة .

٣) عمق المياه الجوفية والتي يتطلب الوصول إليها أشهر من الحفر للصول للماء.

٤) قلة الإمكانيات المادية .

لاشك أن الزراعة وهي مصدر مهم يساعد على البقاء وهي أحد الحرف المهمة للحاضرة وكانت حاضرة الدوادمي عبارة عن(فلاحين) وهم الذين يمتهنون الزراعة و (التجار) من وغيرهم من أصحاب الحرف الفرعية ولهذا فإن الزراعة هي من المهن الرئيسية الحاضرة وما يطلق عليهم الفلاحين هم أصحاب تلك المهنة وسوف نستعرض ما أورده الإخباريون

ما أورده الإخباريون :

(يتحدث الضويان ،١٤٣٣هـ) "كان الناس منول (قديمًا) حالتها على الزراعة البسيطة يزرعون بالشتاء البر وبالقيض الدخن وكان للحلال فيها عيشة واللي ما عنده ولا يقدر يدور العيشة اللي يحطب واللي يحش واللي يجلب على المطايا يقول المثل عند الاولين (الزرع فرع والجماله عيشة وورد المعاوش عيشة الحبالي)

الحبالي: هو اللي يحبل للطيور (يحبل لها ويصيدها) وبعضهم يشتغل عند الفلاحين باليومية والأجرة والزراع منول إلا ما لقا واحد يعطيه دين لين يظهر الزرع ما حصله زرع يقول واحدن من الجماعة

الزرع خليته ولا من توافيق والخاسر اللي ما يطير سفيره
وقعدت أنا والعرعره بالمشاريق القل واجد والكسافه كثيره

أما اللي عند قوة وحلال يحط بعارين وجماله تضرب مكة والحساء ويسندون بشته يجيبون العيش والقهوة ما كانت الدوادمي فيهل شيء إلا اللي يجي لها يشيلون من الدوادمي والشعراء السمن والإقط ويودونه مكة ويشترون من مكة ما يحتاجونه من نواقص الديرة أما بيشة يروح ما معه شيء ويجلب معه العيش والقهوة يشير (الجميلي ، ١٤٣٣هـ) كان اللي مقومين التجارة بالديرة الدوادمي معروفين بينهم وبين البدو السمن ولاقط والحلال يتقاضونه من البدو وأعراض يحتاجونها البدو مثل البر والذرة والعيش والقهوة وغيرها .

وكانت (الوزمة) من التجارة لياجا أيام الصغري تمد العرب للحساء والكويت وأيام الصغري تجي بعد طلوع سهيل وبرود الجو ".

ويشير(أبو زيد،١٤٣٣هـ) أن أغلب سكان الدوادمي كانوا يشتغلون بالفلاحة ويزرعون البر والشعير والذرة ويجلبون من برا التمر من الحوطة وسدير والحساء والتجار فيها كانوا معروفين مثل إبراهيم أبو بكر وعبد الله القويز ومحمد أبو زيد كانوا بس هم اللي يجلبون للديره نواقصها وكانوا يطلعون على المطايا جماعات ويسندون للحجاز وبيشة ويحدرون للرياض والحساء أغراضهم مثل التمر والعيش وغيرها من ما يحتاجونه هم والبدو اللي حولهم كانوا البدو منشطين التجارة .

تعقيب :

إن الظروف البيئية التي تقع في الدوادمي ضمن دائرة المناخ الصحراوي في شبه الجزيرة العربية جعل تلك الظروف المناخية القاسية ذلك المجتمع(الحاضرة والبادية) يتكيف معها ومقاومة شدتها، حيث الإصرار على البقاء هو الدافع إلى التغلب على تلك القسوة.

كانت الدوادمي وكما يفيد الإخباريون تقع بجوار بعض الأودية الجافة التي تجري وقت سقوط الأمطار في فصل الشتاء، ولهذا استطاع سكان الدوادمي(الحاضرة) حفر بعض الآبار وامتهنا مهنة الفلاحة و انتاج بعض ما يكفي أسرهم و استثمار الفائض لبيعه في مجتمعهم المحلي.

ولهذا كانت مهنة الزراعة تقوم على تحمل المشقة وكان وجود البادية بجوار الحاضرة والتعاون فيما بينهم أمر اقتضته الظروف المعيشية، حيث كان يتم حفر الآبار في فترة الصيف وذلك لازدياد الكثافة البشرية التي تعين على حفر الآبار سواءً (المبتدعة) أو تلك الآبار الموجودة والتي بدأ ينضب ماؤها ويتم تعميقها لهذا كانت العلاقة التي تجميع بين بيئة المجتمع(الحاضرة و البادية) علاقة يسودها الود و الاحترام المتبادل بينهم فكان حينما يقوم أحد الفلاحين من الحاضرة بحفر بئرًا أو تعميقها يجد المساندة من أبناء جلدته الحاضرة أو من أبناء البادية المجاورين لهم.

ولكون الماء المصدر الرئيسي للحياة وشريانها فإن التساند بين أفراد المجتمع يقوم على أساس توفير هذا المصدر لما فيه بقائهم ومزاولة أنشطتهم الزراعية.

وكانت من الوسائل التي تعين على الحفر هي الحيوانات (كالبقر – الجمال – الحمير)وكما يفيد (الضويان ،١٤٣٣) فإن البادية وأثناء بقائهم بجوار الحاضرة يساندون الفلاحين بجمالهم التي كانت تعينهم على الحفر وجلب المياه.

وهذا التساند و التعاضد بين مجتمع البادية و الحاضرة نرجعه للعوامل التالية :

١) روح التعايش السائدة بينهم وقبول كل منهم للطرف الآخر.

٢) تشابه العادات و التقاليد و الأخلاق الحميدة التي كانت تلعب دورًا مؤثراً لتجسدي الوحدة والتقارب الاجتماعي .

٣) احتياج الطرفين لبعض فحاجة الحاضرة للبادية كقوة مساندة لها في الإنتاج الزراعي حلال فترة وجودهم بالقرب منهم في فصل الصيف، وكذلك حاجة البادية لما ينتجه المزارعين من الحاضرة من الحبو والمنتجات الزراعية.

٤) مقايضة الحاضرة بما تنتجه من نتاج فلاحتها مع ما ينتجه البادية من ثروات حيوانية (كالسمن – الإقط – الأصواف).

٥) وجود الكثافة البشرية من البادية التي تتوافد إلى قرى الحاضرة ومنها الدوادمي(خلال فترة الصيف يشكل قوة بشرية عاملة يتم الاستفادة منها في العمل بمجال الزراعة في السقيا و الحصاد و حفر الآبار.

من هنا نستطيع القول أن العلاقة التعاقدية في المجال الزراعي و التي تعد من أهم مقومات الاقتصاد كانت ماثلة بين أفراد المجتمع (الحاضر والبادية) قبل قيام المملكة وهذا ما أكده الإخباريون أن تلك العلاقة تجسد روح التساند و التعاضد بين أفراد المجتمع النجدي (مجتمع الدوادمي) خلال تلك الفترة الزمنية.

ثانيًا: التجارة

تقع الدوادمي كما أشرنا سابقًا في (البيئة الجغرافية) وسط شبه الجزيرة العربية ، وكما يفيد الرواه كـ (بن خميس– مرجع سابق) و (بن جنيدل – مرجع سابق) بأنها تقع فيما يسمى عالية نجد وتأخذ هاذ الاسم.

ومن هنا فإن موقعها الجغرافي لا يجعل منها مكانًا يتميز بالمقومات الاقتصادية فهي تقع في منطقة صحراوية تفصل بينها وبين المدن التجارية كالرياض والحجاز والقصم و الجنوب مسافات شاسعة تطلب السفر أيامًا وليالي للوصول إليها. وبالرغم من ذلك إلا أنها تقع ضمن مرور القوافل التجارية العابرة من الشرق إلى الغرب والعكس ومن الجنوب إلى الشمال والعكس وهذا كان يسهل على مجتمع الدوادمي من الحاضرة والبادية الاستفادة من هذه القوافل.

فالبادية كانت تأخذ من مرور هذه القوافل رسومًا يسمح لها بالعبور إلى وجهتها.

أما الحاضرة فكانت تنشط تجارتها ويساعد على تحسن الحركة التجارية لديهم حيث كانت تجارتهم تعتمد على الاستيراد أكثر من التصدير ، حيث لم يكن هناك ما يفيض عن التصدير عن حاجة المجتمع المحلي حسب ما أفاد به الإخباريون، وكانت المقايضة بين ما ينتجه البادية من منتجات

حيواناتهم (كالإقط والسمن والأصواف) مع ما يحتاجونه من ما يجلبه التجار من مشتقات الطعام كالأرز والقهوة والحبوب فكانت المنفعة بينهم تقوم على المقايضة.

الخوة:

وكما يروي (أبو زيد ، ١٤٣٣) كان التجار في رحلاتهم التجارية سواء الحجاز أو بيشة يتعاقدون مع أبناء القبيلة من البادية فيما يسمى (بالخوي) وتعني أن يرافق التجار في رحلاتهم التجارية أحد أبناء القبيلة كمعرف يمنع من الاعتداء عليهم أثناء سفرهم فيعرف بنفسه أمام من يعترضهم حتى لا يتم السطو عليهم أو سلبهم تجارتهم وهذا المعرف يكون مرافق لهم طوال الرحلة ويتقاضى على ذلك أجرًا وهو مبدأ عرفي في تلك الفترة عند جميع القبائل في شبه الجزيرة العربية.

كما أن التجار يستفيدون في فترة بقاء البادية بجوارهم خلال فترة ما يسمى (قطين البادية) حيث تتركز رحلاتهم لجلب التمر و البضائع وما يحتاجه مجتمع الدوادمي من خلال استئجار إبل البادية ومرافقة أهل البادية لهم فيكون في هذا التعاون وتبادل المنافع بينهم .

ما رواه الإخباريون :

يشير (الباهلي ، ١٤٣٣هـ) انا من عرفت الدنيا كانون البدو هم جيران والمحيطين بنا وهي (عتيبة) وكنت من انا صغير واهلي وقبيلتي نعمل بالتجارة وكانت التجارة نبيع ونشتري ما يحتاجونه أهل الديرة والبدو حتى أني كنت إذا راحوا البدو للمرابيع وقت الصفري وقلة الحركة عندما أروح وراهم في مقاطنهم واجلس معهم بالشهرين اذكر أنني لحقت بمقاطين البدو على سجا غرب عفيف بحوالي ٤٠ كم والله ما تصدق العين اللي تشوف كانت القبائل متجمعة وبيوت الشعر من كثرها وما يحقها النظر مثل الحرار السود اجلس معهم أبيع عليهم ما يحتاجونه من أرزاق وملابس وحبال وحيضان وإذا ينقص علي شيء اطلبه وأنا معهم شيء ما يصدقه غير اللي شافه من كثرة العالم حول العدود ما يتصورها عقل .

تعقيب :

إن العلاقة التعاقدية الاقتصادية التي كانت واضحة الملامح في الجانب التجاري (النشاط الزراعي و التجاري) بين أفراد المجتمع المحلي (البادية والحاضرة) قبل قيام المملكة العربية من خلال التبادل في البيع والشراء و ما يسمى (بالمقايضة) بين تجار الحاضرة وعملائهم من البادية وكما يرى الباحث تقوم على عدة عوامل منها:

١) حاجة كل منهم للآخر فالبادية لا تعمل بالتجارة وليست حرفتها، ولهذا فهي تحتاج إلى تجارة الحاضرة وما توفره من احتياجاتهم والحاضرة تجد الحاجة للبادية كقوة حامية محيطة بها.

٢) تبادل المنافع بينهم فالبيع والشراء بين البادية و الحاضرة يقوم على المقايضة، حث تقدم البادية ما تنتجه من الماشية كالإقط والسمن و الأصواف ويأخذ مقابله ما يحتاجه من الحبوب كالأرز والقمح والحنطة وغيرها.

٣) تقوم تجارة الحاضرة على وجود كثرة المستهلكين، وهنا فإن أيام مجاورة البادية للحاضرة في فترة الصيف تزيد حركة النشاط بينهم.

٤) تكثر رحلات التجارة وخاصة الاستيراد من الحجاز و الإحساء وغيرها في فترة الصيف، حيث تكون البادية شبه مستقرة بجوار الحاضرة مما يسهل على التجار استئجار إبل البادية ومرافقتهم لهم لجلب بضائعهم .

٥) حاجة القوافل التجارية لما يسمى (بالخوي) وهو مرافقة أحد ابناء البادية لهذه القوافل ليكون معرفًا له أثناء عبورهم بين القبائل لكي لا يتم التعدي عليها وسلبها.

- إن هذه العوامل ومن وجهة نظري تجسد تلك العلاقة التعاقدية الاقتصادية في مجال التجارة بين أفراد المجتمع (الحاضرة والبادية) قبل قيام المملكة العربية السعودية.
- حيث أكد (أبو زيد ، العجاجي ، الضويان ، الباهلي ، ١٤٣٣) على تلك العلاقة من خلال من ذكروه من التجارة البينية وحاجة كل منهما للآخر من خلال ما تم استعراضه .
- إن ظروف الحياة في تلك الفترة عززت هذه العلاقة بينهم و إن ما تم معرفته مما أورده الإخباريون كا يشير إلى تلك الخصوصية في العلاقة التعاقدية الإقتصادية حيث كانت تقوم على بعض المبادئ.
- **مبدأ الجوار**

وهذا المبدأ يشكل عمقًا لهذه العلاقة حيث أن الروابط الاجتماعية التي كانت سائدة بين الفئتين و التي ساهمت في تعزيز هذه الرابط التي يستمدونها من البعد الديني الذي يؤكد حقوق الجور بين الأفراد والجماعات و التأكيد على مراعاتها والوفاء بها .

مبدأ المسئولية الاجتماعية:

ونعني هنا أن لكل من الفئتين (البادية والحاضرة) مسؤولية اجتماعية مشتركة يؤديها كل منهم للآخر. فالحاضرة تشكل القوة الاقتصادية التي تؤمن متطلبات المجتمع أما البادية فهي الحارس الأمني لهذه القوة بما تمتلكه من عدة وعتاد يحملها مسؤولية الحفاظ على متطلباتها الاقتصادية.

مبدأ التعايش و التساند:

هذا المبدأ يعطي بعدًا اجتماعيًا اقتصاديًا فالقوافل التجارية تحتاج إلى التعاون و التساند فنجد مرافقة بعض من البادية في الرحلات التجارية جنبًا إلى جنب مع التجار من الحاضرة.

إن هذا التساند والتعاون كان تجسيدًا للحفاظ على مبادئ الاقتصاد المتمثلة في البيع والشراء والتقايض بين الفئتين. إن ما تم الإشارة إليه ومن خلال ما أكده الإخباريون يؤكد حقيقة تلك العلاقة الاقتصادية لدى مجتمع البادية الحاضرة قبل قيام المملكة العربية السعودية.

أفاد الإخباريون : أن حاضرة الدوادمي كانت تعمل في الزراعة حيث يزرعون بالشتاء البر والصيف الدخن والذرة وكان التجار يعملون على جلب كل ما يحتاجونه من الحجاز وبيشة والإحساء والحوطة وكذلك سدير على الجمال أو ما يسمونه (بالمطايا) حيث تعتبر وسيلة النقل والتحميل بينما كان البدو يتقايضون مع تجارة الحاضرة بما يأتون به بعد الربيع من (السمن ، الزبد ، والأقط ، والبهائم) كل ذلك كان يمثل الحركة الاقتصادية المتبادلة بينهم كما أن ما يصنع من جلود الأغنام والأصواف التي يقمن نساء البادية بإنتاجها كالفرش والأغطية ومكونات بين الشعر عند البادية كل هذه يتم عرضها بأسواق

الحاضرة فكانت الدوادمي مركز تجاري في صحراء نجد، حيث أنها كانت منطقة مرور للرحلات القادمة من الشرق إلى الغرب أو من الشمال إلى الجنوب والعكس ولذلك كانت مورد للعديد من الاحتياجات ومصدر لها في أن واحد ونتج عن ذلك عملية التبادل الاقتصادي بين البادية والحاضرة في تلك الحقبة من الزمن وقبل قيام المملكة العربية السعودية.

ويشير (الغبيوي ،١٤٣٣هـ) كانون الحضر يبيعون ويشترون من البدو اللي محيطين بهم ويمدون مع العتبان والعتبان معهم ويجلبون الأرزاق للديرة وينفع بعضهم البعض.

يتحدث (العجاجي ،١٤٣٣هـ) كانت الشعراء هي مركز التجارة بوسط نجد قبل الديار وكانت ملفا للعالم يبيعون ويشترون منها وعقب ما كبرت الدوادمي وصارت على طريق القوافل تحولوا أهلها إلى الدوادمي وازدهرت التجارة بين الحضر والبدو وصارت ملتقاء القوافل الحادرة والمسنّدة وصار بها تجارة وكانوا البدو يبيعون ويشترون من عملائهم الحضر وتقوية علاقتهم والمنافع بينهم .

رابعاً : العلاقة التعاقدية الامنية بين مجتمع الحاضرة والبادية في محافظة الدوادمي :

أ) صورة الأمن في الدوادمي قبل قيام المملكة:

كانت شبه الجزيرة العربية قبل الوحدة وخاصة نجد مسرحًا للصراعات القبلية. حيث غياب الأمن عن النفس والمال فكان مجتمع الدوادمي (الحاضرة) تجد نفسها في دائرة هذه الصراعات حيث كان فقدان الأمن يشكل قلقًا يؤرقها فقطاع الطرق و القراصنة التي تجوب الأجواء المحيطة بها. وما ينتج عن صراع القبائل و تناحرها من آثار تهدد أمنها الاجتماعي و الاقتصادي. كما أن (البادية) هي الأخرى كانت تمثل عددًا من القبائل المتناحرة (كمطير وقحطان وعتيبة وحرب وغيرها) ولهذا كانت صراعتها تقوم على مبدأ البقاء للأقوى.

لم يكن هناك أمنُ على النفس والمال حتى أن عابر السبيل يكون ضحية سهلة في يد القراصنة أو ما يسمونهم بـ(الحنشل) وكان صراع القبائل يقوم على أمرين:

١) أماكن الرعي.

٢) أماكن المياه.

وذلك لأن البيئة الصحراوية وقسوتها هي الدافع الرئيسي للقبائل المتصارعة للبحث عن هذه الأماكن و التمركز حولها ولهذا كانت ضرورة الأخذ بأساليب الحماية و الوقاية من هجمات المعتدين مطلب ملح فرضته صعوبة الحياة وفقدان الأمن.

ب) أدوات تطبيق الأمن:

١- بالنسبة لمجتمع الحاضرة :

* الأسوار: كانت الحاضرة في كل من الدوادمي و الشعراء يحيط بها أسوار حيث كانت الدوادمي وكما يروي الإخباريون في (محور البيئة الجغرافية) محاطة بسور وله بوابتين من الشمال و الجنوب، وكانت الحياة الأمنية هي التي تدفع سكان القرى من الحاضرة لبناء هذه الأسوار حيث يتم فتح أبوابها فجرًا و إغلاقها مساءًا فلا يسمح بالدخول أو الخروج خلال فترة الإغلاق مهما كانت الأسباب.

* الأسلحة: تعتبر الأسلحة مطلب للحماية ولهذا كانت الحاضرة تؤمن لنفسها الأسلحة التي تستطيع من خلالها حماية قراها بالتمركز في أبراج الرماة التي تقوم بزوايا تلك الأسوار التي تحيط بقراهم حتى تصد المعتدين عليها.

* تقوم قوافل (تجار الحاضرة) بالاستعانة بأحد أفراد القبيلة التي تحيط بها وتتمركز حولها لمرافقتها خلال رحلاتها التجارية وهو ما يسمى (الخوي) كي يرافقها خلال رحلتها كمعرف يمنع مع الاعتداء عليها أو سلبها من قبل المعتدين .

٢. أما بالنسبة (للبادية) : فإن أدوات تطبيق الأمن لديها تقوم على عدة أمور منها :

أ- توفير القوة والعتاد التي تحصل عليها مما تملكه أو من الغنائم التي تحصل عليها في المعارك و الغارات التي تقع مع القبائل الأخرى.

ب- الاهتمام بالتسلح المستمر ومن خلال مجاوراتها للحاضرة وسيطرتها على الأجواء المحيطة بقرى الحاضرة وحينما يحتاج شيوخ القبائل كما يفيد الإخباريون إلى الدعم المالي فإن تجار الحاضرة تقدم لهم الدعم والمساندة.

ت- الاهتمام المستمر بتدريب الفرسان و زيادة التجهيزات المستمرة لقوتها القتالية لحماية حدودها الجغرافية التي تفصل بينها وبين القبائل الأخرى.

٣. التعاون بين فئات المجتمع لحماية البلد

إن الوضع الأمنى غير مستقر وعدم وجود السلطة الحاكمة التي تتولى تثبيت واستقرار الأمن قبل قيام المملكة جعل أبناء مجتمع الدوادمي (البادية والحاضرة) في بيئة جغرافية واحدة بعد أن استطاعت البادية فرض تمركزها حول قرى الحاضرة ووجود الألفة بينهم وحاجة كل منهم للآخر ولهذا كان مبدأ التعاون بينهم أمرًا لا يمكن تجاهله أو التهاون فيه ولهذا كانت مبادئ هذا التعاون تتجسد في:

- ضرورة التعاون فيما يجلب الأمن للمجتمع ويحقق الأمان للسكان .
- كانت البادية وما تملكه من قوة لمواجهة المعتدين تجد أن هناك رغبة في تعزيز قوتها الأمر الذي يتطلب الاعتماد على (تجار الحاضرة) الذي يرتبطون مع شيوخ القبيلة بعلاقات طيبة في عملية التمويل المالي عند الحاجة لشراء الأسلحة والتجهيزات القتالية .
- بعد أن أصبحت البادية هي القوة التي تتمركز على الأجواء التي استطاعت السيطرة عليها في نجد وخاصة تلك الأجواء المحيطة بقرى الحاضرة ومن بينها الدوادمي، كانت تتحمل مسؤولية الدفاع عن تلك القرى وحمايتها من أي عدوان خارجي.
- كانت الحاجة للقوة الاقتصادية التي تمتلكها الحاضرة تحمل البادية مسؤولية أمن وسلامة قوافلها التجارية بإرسال الرجال المرافقين لها لمنع الاعتداء عليها وسلبها.

رأي الإخباريون:

يشير (الضويان ،١٤٣٣هـ) كان يحيط بالدوادمي سور وتغلق أبوبه الشمالية والجنوبية إذا جاء الليل لأن الوضع كان غير امن فيه (حنشل) ومعتدين ولان الحياة كانت قاسية كان السور وأغلاقه بالليل أمر ضروري خوفاً من الحوافة والحنشل وكانت الشعراء مثل الدروادمي عليها سور .

ويتحدث (الجميلي ،١٤٣٣هـ) ما كان فيه أمن إلا بعد ما حكم عبد العزيز كانت الناس تخاف على حلالها وأرواحها والقتيل إذا ما أنعرف قاتله يروح دمه وكانت ديرة الحضر مثل الشعراء والدوادمي عليها سور يصكون بيبانه ليا جاء الليل خوفاً من الحناشل والحوافة عقب ما حكم عبد العزيز وحط له قصر ومنصوب كان ما فيه سجن مثل هالحين بمسكون الرجال ويحطونه في خشبة طويلة تدخل رجله في فتحات فيها وتقفل عليها ويصير عل ظهره متلقي والحديد مقيد ب هوانا من الناس اللي عاش ها التجربة وكان القاضي يحكم بسرعة يحضر المدعي والمدعى عليه ويسمع ويحكم على طول . هذا بعد ما حكم عبد العزيز أما قبل كانت القبائل لها تقاليدهم وما أحد يرفض الحكم ولا يقدر لأنهم هذي عاداتهم وتقاليدهم وكان الرجال إذا ذبحه رجال

عند البدو من سلومهم ويقول المدخول عليه تركم (مقروعين) سنة وشهرين وقبل ما تنتهي المدة يروح الثاني ويأخذ نفسه المدة ويستمر على هالطريقة لين تنتهي قضيته ويصلحون أو يقبلون العوض اما إذا كان المجرم أجنبي ودخيل وأجرم فيهم ما تركب الوجيه عليه ويسمونه (أجنبي شاقته حربته) وهذه السلوم قبل حكم عبد العزيز وقاضي القبيلة يكون معروف بالحكمة وحكمه ينفذ يحضر المدعي والمدعى عليه وتكون مناظرة بينهم وبعدها يصدر حكمه.

ويضيف (العجاجي ،١٤٣٣هـ) كانت الشعراء والدوادمي كل منها عليها سور تصك أبوابه ليا جاء الليل وكانت القوافل ما تروح منفردة يروحون حملات مع بعضهم علشان ما ينفرد بهم الحنشل وقطاع الطرق.

وكذلك يشير(الباهلي ، ١٤٣٣هـ) أن قافلة الحضر إذا راحت تجلب أغراض او معها بضائع إن كانت محدرة وإلا مسندة يأخذون معهم واحد من قبيلة البادية عتيبة بحكم انها مسيطرة على وسط نجد وكان يأخذونه علشان يعرف عليهم ولو أخذت القافلة أو تعرض لشيء وهو معهم يعتبر سواد وجه عليه وعلى ربعه وهذا علشان ما حد يتجرى عليهم لأنهم في حماء القبيلة ويعطونه أهل القافلة نسبة مقابل روحته معهم.

يؤكد (أبو زيد ،١٤٣٣هـ) يجي بعض الأحيان مناوشات بين الحضر والبدو اللي ما تخلا بس يدركونها ويسنعونها ما كان بها ذيك الأيام حكومة ولا امن ولو اعتداء احد على أهل الديرة الحضر أو سوى مشكلة يمسكونه إذا قدر وما يفكونه لين يجي من يكفله أما إذا كان معتدي وان قتل عند أهل الديرة تساق ديته لانه معتدي والناس يقنعون ولاحد يأخذ بثاره البدو كانوا محيطين بالديرة ولهم اسلوبهم وعاداتهم مثل اهل الديرة ما حد يرضى بالخطاء واللي يخطي ويثبت خطاه يحاسبونه على فعلته . وكانت قوافل الحضر تروح مع قوافل البدو أن حدروا أو سندوا ويصيرون تحت حماية بعضهم مع بعض عقب ما حكم عبد العزيز وحط أمير للدوادمي في القصر اللي بناه غير الامن والناس قسرهم عبد العزيز وعطاء مناصيبه صلاحيات بالسجن والتغريم وكان يخفر القومان ويأخذ عليهم من حلالهم وما يجي سته شهور إلا وهو مرسله ميئة ناقة لعبد العزيز لين هجد الناس من قوة ما يسوى بالمخالف منهم وبعد تغير الأمن وصار فيه حكومة وعسكر وتحسن الامن بين الناس.

يضيف (الغبيوي ،١٤٣٣هـ) كانت الدوادمي عليها سور له بوابتين ولياجا الليل صكوه مثلهم مثل أهل الشعراء كانوا مجودين الديرة الحقيقية كانوا طيبين ما يجي منهم خطاء على جيرانهم المحيطين بهم وإذا جاء عليهم خطأ كانوا يؤخذ لهم حقهم من المخطي ويرضونهم كانوا الحضر يمدون مع جيرانهم البدو إذا حدروا او سندوا بعضهم مع بعض ويصيرون بحماية البدو لأن القومان واجد والحنشل ما فيه أمن ولاحد يأمن على نفسه.

تعقيب:

من خلال ما تم استعراضه في محور التعاقد الأمني عن الصعوبات الأمنية بالدوادمي قبل قيام المملكة وكيف كانت الحالة الأمنية لمجتمع الدوادمي (البادية والحاضرة) ونتيجة لتلك الظروف الأمنية التي يعيشها الناس من حياة سطو ونهب وتنازع وصراعات قبلية وانتشرًا للخوف والذعر وعدم وجود السلطة المسيطرة التي تفرض النظام وتحقق الأمن و الأمان قبل قيام المملكة وتوحيدها.

كل ذلك كان يجسد حالة المعاناة التي يعيشها سكان المجتمع وخاصة (الحاضرة) التي وجدت نفسها محاطة بالأخطار والصراعات القبلية ولهذا كانت تأخذ بالاحتياطات الأمنية من تسوير لقراها وتمترس فيها خلال الهجوم عليها وعدم السماح للمعتدين بدخولها، وبعد أن استطاعت القبيلة المسيطرة على الأجواء المحيطة بالدوادمي وفرض هيمنتها على تلك الحدود الجغرافية التي جعلتها بينها وبين القبائل الأخرى في تلك الفترة التي سبقت قيام المملكة كانت الدوادمي داخل حدودها ولهذا فإن البادية تجد نفسها مسؤولة عن حماية تلك القرى التي تقع ضمن دائرتها الأمنية.

كما أن الحاضرة تجد نفسها مسؤولة عن حماية قراها في حالة تم الاعتداء عليها ولهذا فإن حالة التعاقد الأمني بين فئتي المجتمع من وجهة نظر الباحث تعود إلى ما يلي :

- عدم وجود السلطة خلال تلك الفترة الزمنية التي تتحمل مسؤولية الأمن في شبه الجزيرة العربية وخاصة في نجد و بالتحديد الدوادمي.
- الصراعات والتنازعات القبلية وسلطة البقاء للأقوى.
- وجود تلك القرى في مناطق صحراوية وسط شبه الجزيرة جعلها عرضة للتهديد المستمر لوجودها في قلب مركز الأحداث.
- رغبة فئتي المجتمع (البادية والحاضرة) في تعزيز القوة الاقتصادية والأمنية بينها بما يحقق مصالحهم المشتركة.
- قبول فئتي المجتمع كل منهما للطرف الآخر وتحقق الاندماج الاجتماعي بينهما مما يعزز قوتهما ووحدتهما.
- تحمل كل من فئتي المجتمع مسؤولياته تجاه الآخر فالبادية تتحمل مسؤولية أمن الأجواء المحيطة من الاعتداءات الخارجية بينما تتحمل الحاضرة تعزيز القوة الأمنية بإمكانياتها الاقتصادية.

إن ما تم ذكره من عوامل تجسد أساسيات التعاقد الأمني بين فئتي المجتمع والتي فرضتها الحاجة الأمنية التي كانت تحت وطأة التنازعات والصراعات القبلية قبل قيام المملكة، ولهذا فإن ما أفاد به الإخباريون عن تلك الأوضاع الأمنية في تلك الفترة الزمنية التي فرضت بسطوتها على مجتمع

الدوادمي أدى إلى وجود حالة التعاقد الأمني بينهما والذي جعلها صامدة في وجه تلك الأطماع و الاعتداءات الخارجية وحتى قيام المملكة وتوحيدها.

خامساً : العلاقة التعاقدية التعليمي الديني بين مجتمع الحاضرة والبادية في محافظة الدوادمي :

الحالة التعليمية:

إن التعليم في نجد كان على نطاق ضيق جدًا فقد كان معدومًا لدى قسم كبير من السكان وهم البادية وكان قليًلا عند الحاضرة، وكانت صعوبة الحياة الاقتصادية وانشغال الناس بالبحث عن لقمة العيش وعدم وجود من يتولى التعليم من الأمور التي حالت بين الغالبية العظمى من السكان وبين السبيل إلى المعرفة و إن العامل الديني كان له أثر في إقبال بعض أرباب الأسر القادرة ماليًا على تعليم أبنائها قراءة القرآن الكريم وكان العامل الديني إثر دفع القادرين علميًا على بذل ما في وسعهم بتعليم غيرهم ما يعرفونه من علوم شريعة.

www.social-team.com/shwthead.php?t=3709

كانت شبه الجزيرة وخلال فترة دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب مركزًا للنور الذي أضاء طريقة البشرية، إلا أن ظروف البلاد سواء كانت سياسية أو اقتصادية تأثيرًا في طبيعة الحياة وأساليب انتاجها فجعل ذلك البلاد تمر بازمات حقيقية أثرت في بعض المجالات الأخرى ومن ثم أصابتها بالتأخر ، فمثلاً كان للحروب أو بمعنى أصح كان للتغيرات السياسية التي مرت بها البلاد أن أثرت تأثيرًا سلبيًا في اقتصادها ومن ثم أثر في حياة الشعب الاجتماعية و الثقافية، فظهر فيها نوعًا من التأخر ومن يهمنا هو الناحية الثقافية التي كانت في هذه الفترة على شكلها القديم والمعروف (بالكتاتيب) وقد تسببت هذه التغيرات السياسية كما ذكرنا في شلل الحركة التعليمية و الثقافية لمدة من الزمن حتى يعود الأمن للبلاد وتنتهي تلك الأزمات فيعود الناس إلى تلقي العلوم المختلفة في الجوامع والمساجد عقب كل صلاة. (حصه الزهراني، ١٤٢٥: ص٢٥٦)

ومع ذلك كانت المدن في شبه الجزيرة العربية تشتهر بالعلم والعلماء ولعل أقرب مدينة للدوادمي (شقراء) و (أشيقر) التي كانت تشتهر بمجموعة من العلماء وطلاب العلم، إلا أن الدوادمي في تلك الفترة كانت تفتقر لمثل هؤلاء العلماء الذين جعلوا تلك المدن وجهة لطلاب العلم ومرد ذلك يعود إلى تلك الصراعات التي تحيط بها ومع ذلك كان هناك مايسمونه (بالمطوع) الذي تولى شئون التعليم الديني لأنباء الحاضرة التي ينتمي إليها ومن أبرزهم (الباهلي) في الشعراء، (الصقيران) في الدوادمي وهذا ما يشير الإخباريون حيث يشير:

* (الجميلي ،١٤٣٣هـ) كان التعليم بدائي وما كان فيه تعليم كان التعليم عند الحضر في الدوادمي وأنا لحقت على طريقتهم كان اللي يدرسنا مطوع الديرة وكان اظن انه أبن صقيران كان يدرسنا بغرفة طين غبارة ثاير كان يدرسنا القرابة والكتابة وحفظ القرآن الكريم وكنا نكتب على لوح وكان من الطريقة في التدريس (الغبيبة) هي القرابة القديمة وهي قرابة الحروف بحركاتها الثلاث.

أما البدو اللي يشدون وينزلون ما تعلموا ولا يعرفون بس كانت عقيدتهم نظيفة سالمين من الشرك موحدين وليا جاء يوم الجمعة ينزلون القريا اللي حولهم يصلون فيها الجمعة .

* ويضيف (الضويان ، ١٤٣٣هـ) أنا درست على يد مطوع الديرة في الشعراء يعرف أسمه عبد العزيز الباهلي كان يدرسنا القرآن والحديث ودرست عنده القرآن لين حفظته تعلمنا الكتابة بدينا من الألف إلى الياء وهذا المبدأ الاول هم رجعت علشان الحركات هم رجعت علشان الحروف اللي تخلط واللي ما تخلط مثل (عقال ،غترة) ويسمونها (الهجاوي) وأخذنا تجويد ونحو وفقه وتوحيد ثم عقبه نكتب من المصحف على لوح وكانت المدرسة حجرة في بيت طين والحريم اللي تعرف تعلم اللي ما تعرف وما كان المطوع ما يأخذ أجره على اللي ما عنده قدره أما اللي عنده قدره يأخذ ريال على الجزو.

*و أشار (الباهلي ١٤٣٣هـ) كان الناس يتعلمون القراية والكتابة وهم أهل الحضر أما البدو ما كنوا يدرسون عند المطاوعة لأنهم كانوا رحل وما يستقرون بمكان أما اللي يتحضر منهم ويسكن الديرة هذا يتعلم مع عيال الحضر وهذا قليل ويمكن نادر وكان التعلم عند المطوع في الديرة .

* و أفاد (أبو زيد ، ١٤٣٣هـ) كان التعليم بدائي على يد المطوع كان البدو يحضرون للديرة يوم الجمعة ويصلون مع الحضر صلاة الجمعة يجون من أطراف الديرة من شمال ومن جنوب لأن ما كان فيه صلاة جمع تقام إلا في الديرة وكان مطوع الديرة الدوادمي ابن صقيران وسمي المسجد بأسمه.

كما يفيد الإخباريون أن التعليم كان بدائي على يد من يسمونه (المطوع) الذي يتولى تعليم أبناء الحاضرة القراءة والكتابة بالأساليب البدائية ويعلمهم العلوم الدينية كالتوحيد والفقه وحفظ القرآن الكريم فكانت الشعراء والدوادمي لكل منهما مطوع يتولى هذه المهمة . وقد أكد الاخباريون أن البادية لم يعلموا أبنائهم في ذلك الزمان وذلك بسبب عدم استقرارهم وكثرة ترحلهم طلباً للربيع إلا أن أبناء البادية الذين استقروا مع الحضر وأصبحوا يعملون بالزراعة والفلاحة علموا أبنائهم لدى (المطاوعة) كما أن المناسبات الدينية كانت تجمع بين البادية والحاضرة حيث يتوافد شيوخ البادية المجاورين للدوادمي كل يوم (جمعة) ويؤدون صلاة الجمعة مع الحاضرة حيث كان الالتقاء الأسبوعي عند أحد الحاضرة يتناولون الغداء ويتجاذبون أطراف الحديث ويتبادلون الأخبار التي تصل إليهم فيكون يوم الجمعة يمثل مناسبة دينية اجتماعية في تقوية التواصل الاجتماعي بين الفئتين ، هذا ما كان متبع قبل قيام المملكة العربية السعودية.

وبعد أن استرشدنا بما رواه الإخباريون سوف نستعرض في هذا المحور ما يلي:

١ – نوع التعليم :

كان التعليم وكما يروي الإخباريون تعليم تلقيني كان يتعلم أبناء الحاضرة حفظ القرآن الكريم جزءً جزءًا ، حيث يقوم المطوع بمراجعة حفظهم وتثبيته.

وكانوا يتعلمون الكتابة على الألواح فيبدأ يتعلم الحروف ومن ثم ربطها مع جمل حتى يستطيعون القراءة و الكتابة على تلك الألواح، كما أنه يقوم بتعليمهم القواعد وكيفية تركيب الجمل وإعرابها إضافة إلى ما يتعلمونه في المواد الدينية الذي يغرس فيهم عقيدة التوحيد وأنواعه و الفقه الذي يساعدهم على معرفة إتمام العبادات وأركانها وواجباتها.

٢ – أدوات التعليم:

لم يكن وكما يفيد الإخباريون أن هناك من الأدوات التي تعين على التعليم كما هو الحال الآن حيث كان يجلس الطلاب على الأرض ويستخدمون بعض الأدوات ومنها :

* المطوع: وهو ذلك الشخص الذي يتولى عملية التعليم.

* اللوح: وهو عبارة عن خشبة مستطيله يقوم الطالب بالكتابة عليها ويمسحها في كل موضوع يدرسه بعض إتمامه، وكان لكل طالب لوح خاص به.

* الفحم والجص: كانت أدوات الكتابة على تلك الألواح .

مكان التعليم:

– المسجد: وهو ما يتعلمون فيه القرآن و التوحيد والفقه ويتعلمون قراءة القرآن وحفظه وتجويده .

– حجرة التعليم: عبارة عن غرفة من الطين وغير مفروشة تقوم مقام المدرسة في وقتنا الحاضر.

٣– قيمة التعليم:

كان التعليم مطلبًا يسعى إليه أبناء المجتمع وخاصة الحاضرة لتعليم أبنائهم أمور دينهم ، حيث اقتصرت العلوم التي كانت في تلك الفترة على اللغة العربية والحساب وكل ما هو مرتبط بالعلوم الدينية، ومن هنا فإن ارتباط العلم بالدين لأن أول هدف للتعليم هو فهم الإسلام، وغرس العقيدة الإسلامية في صدور الطلاب وتزويدهم بتلك القيم والمثل العليا.

ولها فإن مسؤولية التعليم في مجتمع الدوادمي كانت تطوعية يقوم بها رجلٌ لديه معرفة بالأمور الدينية والمعرفية واللغوية وغالبًا ما يكون من كبار السن الذين يعلمون كالإمام أو الخطيب ويطلق عليه اسم المطوع ويكون عمله تعليم أبناء الحاضرة أو الذين يفدون من خارجها من أبناء البادية وهم قلة حيث أن البادية كانت نتيجة لظروفها في تلك الفترة لم يكن اهتمامها منصبًا على التعليم وذلك لرحيلها وارتحالها طلبًا للكلء و الماء لماشيتهم وتنقلها من مكان إلى آخر وعدم استقرارها.

إلا أن مجاورتها في فترة الصيف لقرى الحاضرة ومنها الدوادمي يكون فيه نوعًا من الاندماج مع المجتمع ويبدأ القلة منهم في إلحاق أبنائه بحلقة المسجد إضافة إلى أن هناك من البادية من استقر مع الحاضرة وترك الرحيل و الترحال فأخذ بالتحضر و العمل بالفلاحة و أصبح عضوًا من مجتمع الحاضرة هذه الفئة هي من كانت تهتم بالتعليم و التربية الدينية لأبنائها مع أبناء الحاضرة على يد ذلك الشيخ الذي يؤدي دور المعلم و المربي وهو ما يعرف بالمطوع.

٤– خطبة الجمعة :

كانت خطبة الجمعة التي يلقيها مطوع الحاضرة يوم الجمعة هي أحد وسائل التعليم والتوجيه الديني لبيئات المجتمع من البادية والحاضرة ، ولهذا فإن أبناء البادية المحيطة بمجتمع الحاضرة يتوافدون يوم الجمعة للاستماع إلى تلك الخطبة التي يلقيها الخطيب في هذا ليوم المبارك والتي كان كما يقول الإخباريون تركز على تعليمهم أمور دينهم وعباداتهم و الإشارة إلى الأخطاء التي تؤثر في أمور دينهم و عباداتهم و الأمور الفقهية في معاملاتهم فكان ليوم الجمعة اهتمامًا كبيراً لدى أبناء المجتمع كانوا يتسارعون لحضور هذه الخطبة التي وما يتعرفون على من توجيهات دينية خلال الإنصات لها.

كان الإمام هو المصدر في التثقيف والتعليم الديني لأبناء المجتمع حتى أنه يقوم بدور الإفتاء لما يحتاجونه لمعرفته من أحكام في أمورهم الدينية.

ولهذا فإن قيمة التعليم لدى أبناء المجتمع وخاصة الحاضرة التي تحرص على تعليم أبنائها كما يروي الإخباريون فإن البادية لم يكونوا على نفس ذلك الاهتمام ويعود لعدم استقرارهم حيث تقوم حياتهم على الرحيل خلف مواشيهم وبحثًا عن أماكن الكلأ والماء لمواشيهم.

ومع ذلك فإن القلة منهم هم من يحاولن الاستفادة في قربهم من الحاضرة لتعليم أبنائهم إضافة إلى من استقر من البادية و أصبح عضوًا في مجتمع الحاضرة فهؤلاء يعلمون أبنائهم.

أهم نتائج الدراسة

توصل الباحث من خلال هذه الدراسة إلى مجموعة من النتائج التالية :

١. وجود علاقة تعاقدية بين الحاضرة والبادية في مجتمع الدوادمي في البيئة الجغرافية في الحدود الطبيعية حيث إن البادية لاترعى مواشيها في الأماكن المجاورة للحاضرة بما يسمى بحمى الحاضرة ، كحالة تعاقدية بينهم .

٢. قبول كلُ من الطرفين في البيئة الجغرافية التي جمعت بينهم مما يمثل على حالة تعاقد بيئي جغرافي بينهم .

٣. تجاور البادية مع الحاضرة خلال فترة الصيف بما يسمونه بالقطين وما ينتج عنها من حالات تعاقدية أنتجها الجوار .

٤. وجود المصاهرة والنسب المتمثلة بالزواج بين فئتي المجتمع (حاضره وبادية) أثبتت وجود علاقة تعاقدية اجتماعية بينهم .

٥. الوضيع الذي يتركه البدو عند الحاضرة وحفاظ الحاضرة على هذا الوضيع أثبتت على وجود علاقة تعاقدية اجتماعية بينهم لحفظ الامانه وحسن الجوار .

٦. التشابه في الخصائص الاجتماعية بين البادية والحاضرة أكد على قوة العلاقة التعاقدية فيما بينهم .

٧. أكدت الدراسة على وجود علاقة أمنية بين البادية والحاضرة متمثلة في حماية القبيلة المسيطرة على البقعة الجغرافية وهي البادية لمجتمع الحاضرة التي تقع ضمن حدودها المسيطرة عليها من الاعتداءات الخارجية . وذلك من خلال ما تقدمه الحاضرة من دعم مالي وأخلاقي يجسد قوة هذه العلاقة .

٨. أكدت الدراسة على أن العلاقة التعاقدية الأمنية تتضح من خلال وجود ما يسمى بالخوي وهو الشخص المرافق من البادية للقوافل التجارية للحاضرة لحمياتها من السلب والنهب خلال مرورها .

٩. أكدت الدراسة وجود علاقة تعاقدية اقتصادية بين البادية والحاضرة من خلال ما يسمى بالتقايض خلال عملية البيع والشراء بينهم مما يجسده من علاقة تعاقدية اقتصادية .

١٠. أكدت الدراسة وجود علاقة تعاقدية اقتصادية من خلال الشراكة الاقتصادية بين البدوي والحضري .

١١. أكدت الدراسة وجود علاقة تعاقدية تعليمية دينية وتتمثل ذلك في قيام البادية بأداء صلاة الجمعة مع الحاضرة ، مما أنتج علاقات ونقل الأخبار وزيادة الروابط الاجتماعية ، وكذلك قيام متعلمي الحاضر بتدريس أبناء البدو العلوم الشرعية .

توصيات الدراسة :

١. العمل على توثيق الحياة الاجتماعية بطرق متعددة تحفظها وتنقلها للأجيال .

٢. عمل الجهات الحكومية والأهلية المختصة بالمناصق بتوثيق الحياة الاجتماعية وتشجيع الباحثين على عمل دراسات متخصصة تحفظ ذلك الإرث التاريخي من الضياع .

٣. إدراج صور الحياة الاجتماعية التي كانت سائدة في تلك الحقبة التاريخية المهمة ضمن مناهج التربية والتعليم .

٤. حث الإعلام بكافة وسائله بنقل الحياة القديمة بتفاصيلها من خلال الإخباريون المتواجدون في مناطق المملكة الغربية السعودية .

المراجع:

حمد الجاسر، مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ، ط١، ١٣٨٦هـ.

بن خميس ، عبد الله محمد ١٤٠٢هـ ، المجاز بين اليمامة والحجاز، ط٣، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر : الرياض.

الجنيدل ، سعد عبد الله ، ١٣٩٨هـ ، المعجم الجغرافية للبلاد العربية، عالية نجد، القسم الثاني ، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر : الرياض.

بندقي ،حسين حمزه ، ١٤٠٤هـ ، خريطة المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى.

الحموي ، ياقوت ، معجم البلدان، المجلد الثاني .

الأصفهاني، الحسن بن عبد الله ،١٣٨٨هـ ، تحقيق حمد الجاسر ، بلاد العرب،ط١

الزهراني ،حصة جمعان ، ١٤٢٥هـ ، الحياة الاجتماعية و الاقتصادية في الدولة السعودية الثانية، ط١، دارة الملك عبدالعزيز : الرياض .

نزاد، محمد رضى جديدي، ١٤٢٤هـ ، معجم مصطلحات الرجال والدراية ، ط٢ ، دار الحديث للطباعة والنشر .

شتا ، دكتور السيد علي، ١٩٩٧م ، نظرية علم الاجتماع ، مكتبة الاشعاع الفنية .

عرابي، دكتور عبدالقادر، ٢٠٠٣م ، النظريات الاجتماعية رؤية نقدية ، دار الخريجي للنشر .

حنا ، نبيل صبحي (١٩٨٤م) الإثنروبوجيا الاجتماعية: دراسة المجتمعات والجماعات محدودة النطاق (دار المعرفة الجامعية – الإسكندرية).

إسماعيل ، زكي محمد (١٩٨٢م) الأنثروبولوجيا الفكر الإسلامي ، شركة مكتبة عكاظ ، الرياض .

ميشل ، البروفسور دينكن ، ١٩٨٠م ، ترجمة الدكتور إحسان محمد الحسن ،، معجم علم الاجتماع ، دار الرشيد للنشر .

الويس موزل ، ترجمة دكتور محمد سليمان السديس ، ١٩٩٤م، اخلاق الرولة وعاداتهم ، ط١ ، جامعة الملك سعود مركز البحوث كلية الاداب ٥٠ : الرياض .

عبدالفتاح الزين ، ١٤١٣هـ ، التراتبات المجالية والصراع الاجتماعي بالمغرب : قراءة في سيرورة العلاقات البدوية الحضرية بمراكش في الجنوب المغربي ، مجلة الاجتهاد ،ع ١٧ ، س ٤ ، خريف العام ١٤١٣هـ ، دار الاجتهاد : بيروت .

ب) المواقع الالكترونية :

١) www.d1g.com منتدى العلوم الإنسانية.

٢) www.social-team.com

٣) .www.yanabeea.net

٤) www.ar.wikipdia.org.com

٥) www.almaany.com مركز التنوير المعرفي

٦) www.almaany.com موقع معجم المعاني